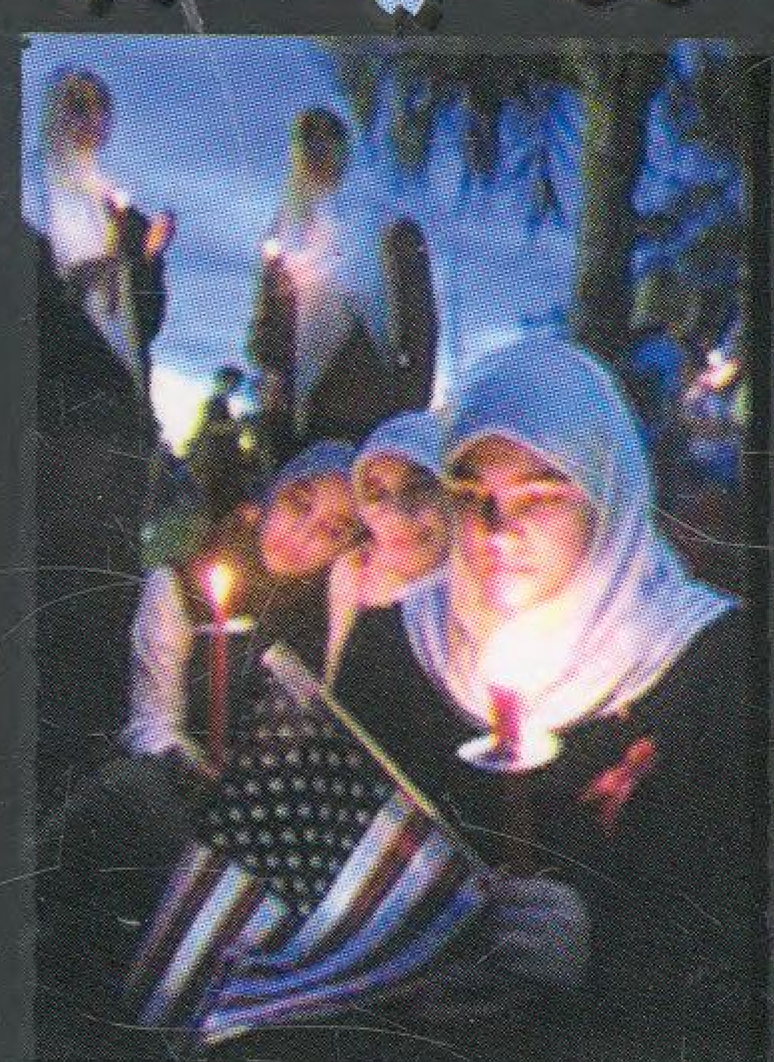
التجاني بولعوالي

الإسلام - فوبيا

صناعة صهيونية تسوق في الغرب











الإسلام - فوبي



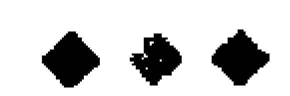
- مركـز الحضـارة العربيـة مؤسسـة ثقافيـة مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد



مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين – عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات – القاهرة

تليفاكس: 33448368 (00202)

www.alhdara-alarabia.com

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com

alhdara_alarabia@hotmail.com

التجاني بولعوالي

الإسلام – فوبي

صناعة صهيونية تُسوَّق في الغرب!



الكتاب: **الإسلام فوبي**

الكاتب: **التجاني بولعوالي**

(المغرب – هولندا)

الناشر: **مركز الحضارة العربية**

الطبعة العربية الأولى: القاهرة ٢٠٠٨

الغلاف

تصميم وجرافيك: ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكتروني:

وحدة الكمبيوتر بالمركز

تنفيذ: إيمان محمد

تصحيح: وفاء عبد الفتاح

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٧٥٥٧

الترقيم الدولي: I.S.B.N.977-291-932-X

بولعوالى، التجانى.

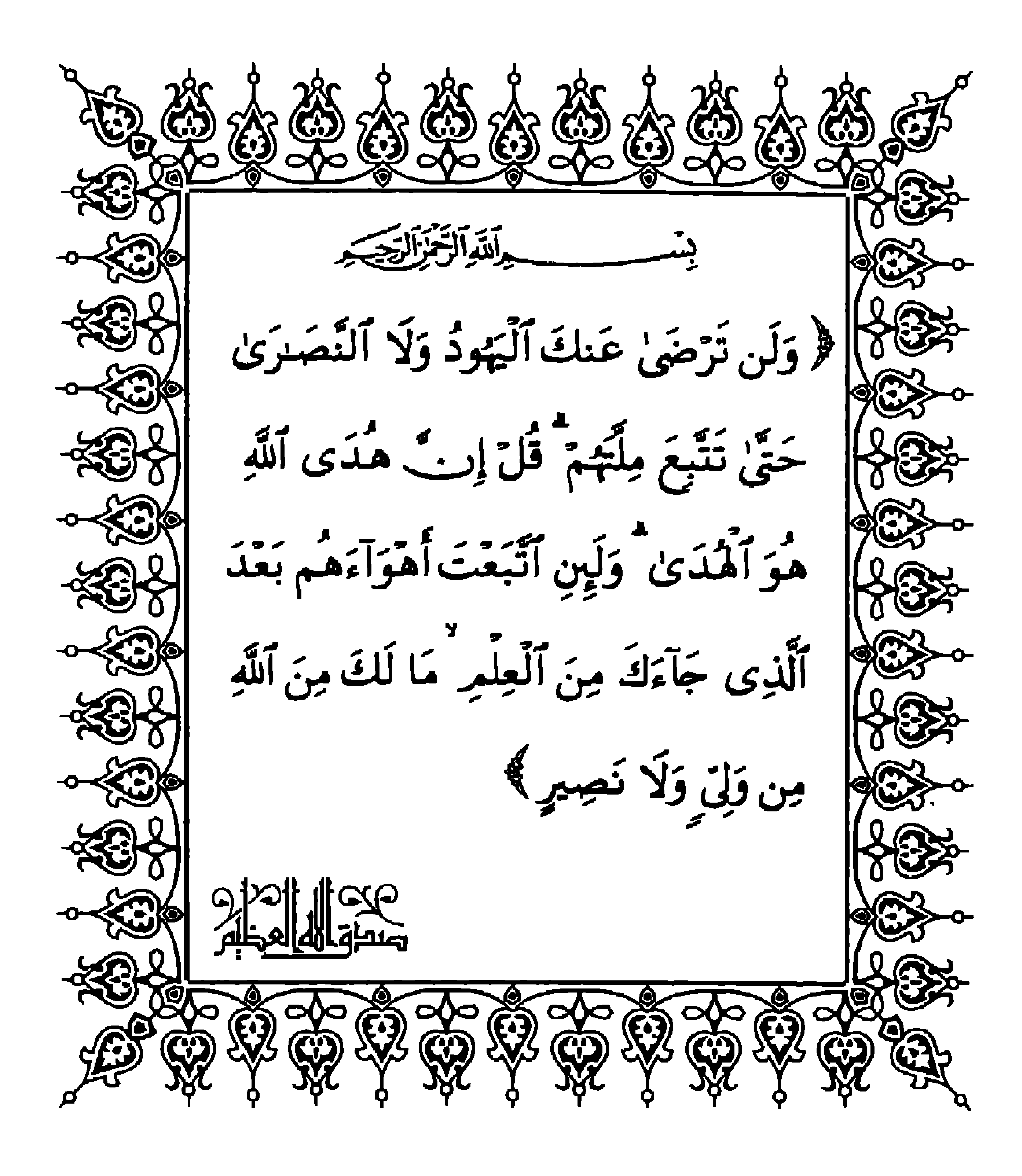
الإسلام – فوبي: صناعة صهيونية تسوق في الغرب/ التجاني بو لعوالي. – الجيزة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، ٢٠٠٨.

١١٢ص؛ ٢٠سم.

تدمك: ٩٧٧-٢٩١-٩٣٢-x

١- الإسلام – دفع مطاعن.

أ- العنوان ٢١٦


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ
حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ
هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ
ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾
صدق الله العظيم

تقديم

فى هذا الكتاب يقودك المؤلف عبر مجموعة من المقالات للتجول فى عالم الذين هجروا أوطانهم الأصلية على شاطئ المتوسط الجنوبى بحثًا عن أحلام الثراء والحرية والفعالية فى البلدان الأوروبية.

والتجوال هنا ليس بين المظاهر السطحية أو المعالم المادية ولكنه فى أعماق النفس بحثًا عن الأسباب المختلفة لعدم قدرة المهاجرين وخاصة من ذوى الأصول المغربية، على الاندماج الكامل فى مجتمعاتهم الأوروبية الجديدة أو التنصل منها نهائيًّا والعودة مرة أخرى إلى الديار؛ إلى الوطن الأم وأيضًا عدم قدرة أو رغبة أوطانهم الجديدة على قبولهم كمفردات طبيعية بين جنباتها.

يطلعك التجانى بولعوالى على جملة من الحقائق والأفكار التى يتعذر على المهاجر العادى إدراكها أو تفسير العلاقات الجدلية التى تربط بينها، ورغم أن مقالاته تبدو متنوعة فى اهتماماتها وتكاد تكون مستقاة من واقع المهاجرين المغاربة فى هولندا إلا أن ثمة ناظم دقيق يجمع بين أشتاتها يجعل من الاطلاع عليها فرصة سانحة للإلمام بواقع معاناة المسلمين الذين توطنوا منذ جيلين أو أكثر فى أوروبا.

يتحدث المؤلف فى غير موضع عن الإسلام – فوبيا أو الخوف من الإسلام كظاهرة تنمو حثيثًا فى الغرب الأوروبى، وهو فى ذلك لا يتوقف عند مظاهرها ولكنه يخوض فى أعماق الدوافع المختلفة

والروافد المتعددة التى تغذى هذه الظاهرة.

ورغم توكيده بأن الدوائر الإعلامية الصهيونية واليهودية فى أوروبا تغذى هذه الظاهرة وتعطيها أبعادها الإعلامية المتضخمة، إلا أن ذلك لم يدفعه إلى التبنى الساذج لنظرية المؤامرة، وإنما راح يفند ويستقصى الأسباب المختلفة وراء انتشار الإسلام - فوبيا.

فالخوف من الإسلام الذى أصبح يهيمن على مختلف مستويات المجتمع الأوروبى تمكن قسم عظيم من الإعلام الغربى المعادى للإسلام من تسويق هذا المفهوم لدى مختلف شرائح المجتمع الغربى بحيث بات يعنى لديها الخوف من الإسلام وتأثيراته الخطيرة المعيشة والمحتملة على بنية هذا المجتمع.

ويحلل بولعوالى أسباب نشأة هذه الظاهرة فى الغرب ويرجعها إلى عوامل مختلفة مثل عدم تفعيل الاعتراف القانونى بالدين الإسلامى وحرمان المسلمين من كثير من التسهيلات اللازمة كالسماح ببناء المساجد والمدارس وممارسة الطقوس الدينية، وهناك أيضًا الجهل بحقيقة الإسلام والذى يعتبر من أهم أسباب تصاعد ظاهرة الخوف من الإسلام.

ويشير أيضًا إلى وجود بعض التيارات التى تساهم فى زرع هاجس الإسلام - فوبى لدى المواطنين الغربيين عبر مختلف وسائط الإعلام التقليدية والرقمية مثل بعض التجمعات النسوية التى تزعم بأن الإسلام يستعبد المرأة ويظلمها وكذلك تيار الشذوذ الجنسى (اللواطيون) الذى يرى أنه مهدد بفتاوى الإسلام المحرمة لسلوك اللواط.

ولم يغفل المؤلف أن يشير ضمن هذه الحزمة من العوامل إلى الدور السلبى للتمثيل الردئ للإسلام من قبل المسلمين الموجودين فى الغرب

حيث أن أغلبهم يسعى لجمع الثروات على حساب ما هو دينى ودعوى وتعليمى مما يوقعهم فى نوع من الازدواجية فى التعامل مع الغرب، حيث يتهافتون على ما هو مادى ويحجمون عن ما هو أخلاقى.

ويحتوى هذا الكتاب أيضًا على عدد من المقالات أو الدراسات التى تتناول جوانب هامة من واقع حياة المهاجرين المغاربة فى أوروبا ولعل من أهمها ما يتصل بحنين العودة إلى الوطن الأم وما يقف حائلاً دون تحققه من عوامل مختلفة على الرغم من تشجيع بعض الدول مثل هولندا لهذه النزعة التى تنتاب بعض المهاجرين الذين يجدون بعض الصعوبة فى الاندماج بمجتمعاتهم الأوروبية.

وهناك أيضًا إلمحات هامة لبعض الظواهر التى تتفشى بين أبناء المهاجرين الذين ولدوا على الأرض الأوروبية مثل الجريمة ومغادرة التعليم، وهى كلها جديرة بالالتفات حيث يتضح فى تناولها مدى الإلمام العميق للتجانى بولعوالى بدقائق حياة المهاجرين المغاربة فى أوروبا.

إنه كتاب يستحق ما هو أكثر من القراءة.

د. أحمد الصاوى

مستعدون لأن نفدي بكل شيء
من أجل ألا يهان الرسول ﷺ!

نظرًا إلى الإساءة المحمومة التي تعرض إليها مؤخرًا الرسول ﷺ، وذلك من لدن إحدى الصحف الدنماركية اليمينية المتطرفة، وهي يولاندس بوستن Jyllands-Posten، وذلك في ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥، حيث قامت بنشر حوالي ١٢ صورة كاريكاتورية، تشوه من خلالها شخصية نبينا العظيم محمد صلوات الله عليه وسلامه، مما خلف استياء كبيرًا لدى مختلف شرائح الأمة الإسلامية، التي سارعت إلى استنكار هذا الفعل الهمجي المشين والدنيء، الذي يعبر عن مدى جهالة من قاموا به، ومستوى الغباء الذي يتحلون به، والأنانية التي تتملك نفوسهم الخبيثة، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق ودنيئها.

ومما لا ريب فيه، فعظمة رسولنا الكريم، وعلو شأنه، ورفعة مقامه، في الدنيا والآخرة، تتزهه كل التنزيه عما قامت به تلك الحثالة من الإعلاميين المرضى، الذين لا يحققون نجاحهم الإعلامي المقيت إلا من خلال الإساءة المعلنة إلى الآخرين، والنيل من أشرافهم وأعراضهم، وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على حجم المأزق الأخلاقي والفراغ الروحي الذي يتخبط فيه جانب عظيم من الفكر والإعلام الغربيين.

غير أنه بالرغم من ذلك التعريض المشين الذي يتلقاه الإسلام؛

عقيدة ونبيًا وشعويًا، من قبل مختلف الأوساط الثقافية والإعلامية الغربية، فلن ينال ذلك من الصرح الإسلامي ولو قيد أنملة، فهو محفوظ من لدن الخالق سبحانه وتعالى، إلى قيام الساعة، مما يزيد من شموخ هذا الدين العظيم بكل مقدساته ومكوناته، فيضع الآخرين إما في موقع الاعتراف بقيمة الإسلام وعظمته، وإما في موقع الحقد عليه، نظرًا إلى الحقيقة الأبدية التي يحملها، وهي حقيقة تنفي ما يتبجحون به من تفسيرات وتهويمات وهلوسات!!!

ثم إن مثل هذه الحرب الإعلامية الشرسة على الإسلام تكشف، بشكل جلي، عن مدى غيرة المسلمين على دينهم ونبيهم وهويتهم، فبمجرد ما تلوح في الأفق مثل هذه الهجمات المسعورة، يطفق المسلمون إلى التصدي لها بكل ما يملكونه من الوسائل، ويطيقون عليه من الطرائق، وخير دليل على ذلك الأسلوب الذي تصدى به إخواننا المسلمون في شتى بقاع المعمورة لهذه الحملة الأخيرة على الرسول ﷺ، وهو أسلوب ينم عن عمق الإيمان الذي يتحلون به، وحجم العزة التي تدفق من نفوسهم، ومدى الحب الذي يكنونه لرسولهم الكريم عليه أزكى الصلوات وأطيبها.

أمام هذا التعريض الذميم الذي مس به أولئك الأراذل والسفلة، رسولنا العظيم محمدًا ﷺ، لا نملك إلا أن نعبر عن استنكارنا الكبير لتلك الهجمة المسعورة، ومن ثمة التصدي لها بمختلف الوسائل الإعلامية والفكرية والاقتصادية والسياسية الممكنة، ونحث سائر إخواننا المسلمين على المشاركة في هذا الاستنكار، وإبلاغه إلى سائر الأوساط الثقافية والإعلامية والسياسية الغربية، بشكل يعبر عن أن المسلم مستعد لأن يفدي بكل شيء، وحتى بحياته، من أجل ألا يهان الرسول ﷺ.

الإسلام – فوبي
صناعة صهيونية تُسوَّق في الغرب!

مفهوم الإسلام - فوبي

في حقيقة الأمر، إن الدافع إلى كتابة هذه الورقة هو مقال نشرته إحدى الجرائد الهولندية الذائعة الصيت، يحمل عنوانًا مثيرًا، خط بالبنط العريض، وهو (تصاعد ظاهرة الخوف من الإسلام في أوروبا)، وعندما ينتهي الإنسان من قراءة هذا المقال، يدرك أنه مجرد نص إخباري يتركب من قصاصات وآراء اقتبست من هنا وهناك، لا يوجد بينها أي رابط يفسر هذه الظاهرة تفسيرًا واقعيًا، يمكن القارئ من فهم هذه الظاهرة الجديدة فهمًا معقولا، بقدر ما يسعى صاحبه إلى زرع الخوف في النفوس، عن طريق اختلاق عدو رمزي يهدد وجودها، وهو ما يطلق عليه في الأدبيات الغربية: الخطر الأخضر!

ومما ورد في هذا المقال أن الشبكة الأوروبية لمحاربة العنصرية، أثبتت في آخر تقرير لها تصاعد وتيرة الميز العنصري، كما أنها سجلت أن هاجس الخوف من الإسلام (الإسلام – فوبي) أصبح يهيمن على مختلف مستويات المجتمع.

ترى ماذا يعني مصطلح الإسلام – فوبي، سواء أعند الإنسان الغربي العادي، أم في الأدبيات السياسية والإعلامية والفكرية الغربية؟

إن الدلالة العادية التي ينطوي عليها هذا المصطلح، هي الخوف من الإسلام وتأثيراته الخطيرة المعيشة والمحتملة على بنية المجتمع الغربي، وقد تمكن قسم عظيم من الإعلام الغربي المعادي للإسلام من تسويق هذا المفهوم، لدى مختلف شرائح المجتمع الغربي، وهو يبرر خطر الإسلام على الإنسان والثقافة الغربية، انطلاقًا من جملة من المعطيات المغلوطة والتأويلات الشاذة، التي تختزل الإسلام في بعض القضايا التشريعية والتاريخية المعدودة التي تؤول بعيدًا عن سياقها الأصلي الحقيقي، أو تقدم الإسلام كما يتجلى عند بعض المذاهب والفرق المنحرفة، التي يرفضها أو ينتقدها الإسلام نفسه، ما دام أنها خرجت على المحجة البيضاء، انسياقًا خلف سراب السلطة والاستئثار والعصبية وغير ذلك.

أما الخطاب الفكري الغربي المعاصر، فيحتفظ على الدلالة الأصلية لهذا المصطلح، ثم يوسعها أكثر.

ورد في إحدى الموسوعات الهولندية أن "الإسلام – فوبي مفهوم خلافي، يوظف في المعنى السياسي والاجتماعي قصد توجيه النقد إلى الإسلام على أنه يشكل خطرًا كبيرًا، ويمكن مقارنته في هذا الصدد بمصطلح (الكسينوفوبي/xenofobie)، الذي يعني الخوف من كل ما هو أجنبي. وينشأ شعور الخوف من الإسلام من جراء السلوك السلبي للمسلمين، كالعنف والإزعاج والعنصرية...".

ثم إن مصطلح الإسلام – فوبي يقابل بمصطلح آخر هو الإسلام – فيلي، عادة ما غيبته المعاجم الغربية، وهو يعني حرفيًا: حب أو محبة الإسلام.

نشأة ظاهرة الإسلام - فوبي

وتبرر نشأة ظاهرة الخوف من الإسلام في المجتمعات الغربية بجملة من التفسيرات، يمكن ثبتها من خلال العناصر الآتية:

- استمرار اللا اكتراث بقضايا المسلمين في الغرب، حيث يظل الاعتراف القانوني بالدين الإسلامي غير مفعل أو مغيبًا تمامًا، كما أن مسلمي الدول الغربية يحرمون من الكثير من التسهيلات اللازمة، كالسماح ببناء المساجد والمدارس، وممارسة الطقوس الدينية وغير ذلك.
- كما أن جهل حقيقة الإسلام يعتبر من أهم أسباب تصاعد ظاهرة الخوف من الإسلام، فغالبًا ما يربط بالإرهاب والتطرف، في الوقت الذي تؤكد فيه الكثير من المؤسسات الغربية أن الإسلام دين التسامح والتضامن والتآخي، لكن الإعلام الغربي يحيل دون نشر هذه المواقف الإيجابية التي من شأنها أن تخدم الإسلام والمسلمين.
- ثم إن هناك بعض التيارات التي تساهم في زرع هاجس الإسلام– فوبي لدى المواطنين الغربيين، عبر مختلف وسائط الإعلام التقليدية والرقمية، مثل بعض التجمعات النسوية التي تزعم بأن الإسلام يستعبد المرأة ويظلمها، وتيار الشذوذ الجنسي/ اللواطيين الذي يرى أنه مهدد بفتاوى الإسلام المحرِمة لسلوك اللواط، وقد تنامى في السنوات الأخيرة تيار المرتدين عن الإسلام، والذي يطلق عليه في الإعلام الغربي عامة، والهولندي خاصة، تسمية: (EX – Moslims).
- ثم لا ينبغي غض الطرف عن التمثيل الرديء للإسلام من قبل

المسلمين الموجودين في الغرب، حيث إن أغلبهم مسكون بهاجس جمع الثروة، على حساب ما هو ديني ودعوي وتعليمي، مما يوقعهم في نوع من الازدواجية في التعامل مع الغرب، حيث يتهافتون على ما هو مادي، ويحجمون على ما هو أخلاقي، دون أن يبرروا سر هذا السلوك الحربائي، الذي يجعل المواطنين الغربيين مرتابين، ومع تقادم الأيام يتحول هذا الارتياب إلى نوع من الحذر والخوف مما هو إسلامي.

ومما يلاحظ أن ظاهرة الخوف من الآخر ليست جديدة، فهي تضرب بجذورها في التاريخ الإنساني، وفي العصر الحديث يمكن الإشارة إلى الخوف من النازية والفاشية ثم الشيوعية، وبمجرد ما تبدد النظام الاشتراكي انتقلت هذه العدوى إلى الإسلام، فأصبح بمثابة الفزاعة التي تذعر الغرب؛ حكامًا وشعوبًا، على هذا الأساس يمكن رد الرأي الذي يقول بأن مفهوم الخوف من الآخر كان ينطلق مما هو عرقي، والآن صار يتأسس على ما هو ديني وثقافي، لأنه من خلال تفحص بعض النماذج التاريخية التي تمثل هذا الخوف، يظهر أن ثمة تداخلا لمجموعة من الأبعاد الدينية والأيديولوجية والعرقية والثقافية والاقتصادية وغير ذلك.

ظاهرة الإسلام – فوبي صناعة صهيونية محضة

وسعيًا إلى تضخيم ظاهرة الخوف من الإسلام، كثفت المجتمعات الغربية جهودها الإعلامية والإحصائية والسياسية، لتثبت مدى التهديد الذي يمارسه هذا الخطر على تماسك المجتمعات الغربية واستقرارها، فظهرت شريحة اجتماعية يطلق عليها (الخائفون من الإسلام)، وراج الحديث عن عداء المسلمين للغرب،

حتى أن ثمة من نعت هذه الظاهرة بـ (التسونامي)! ودعمًا لهذه الآراء وضعت مراكز الإحصاء الغربية أرقامًا وإحصائيات من شأنها أن تعزز هذا الخوف، وتحض أصحاب القرار على مواجهته، حيث أشار مكتب إحصائي هولندي قبل سنة (٢٠٠٦)، إلى أن ٤٣٪ من العينة التي تم استطلاع رأيها، ترى أن الإسلام لا يحث على السلم، و٦٣٪ تعتقد أن الإسلام يتنافى وطبيعة الحياة الأوروبية الحديثة، وفي مقابل ذلك أوضحت نسبة ٧٣٪ من الهولنديين أنها ليست عنصرية، وتشجع على قيام المجتمع المتعدد الثقافات، في حين يذهب حوالي ٨٠٪ من المستفتين إلى أن العلاقة بين مختلف الثقافات متوترة.

والأكثر من ذلك، قدمت إحدى المراكز الأوروبية المشهورة، وهي مركز المرصد الأوروبي للعنصرية وعداء الأجانب، تقريرًا عددت فيه سمات ظاهرة الإسلام – فوبي، وبمجرد ما يتم الاطلاع على فحوى التقرير، يخلص الإنسان إلى أنه غير موضوعي، فهو ينعت الإسلام بالانغلاق واللاعقلانية والهمجية والتهديد والعنف والعداء وغير ذلك كثيرا!

بناء على ما سبق، يمكن القول بأن ظاهرة الخوف من الإسلام قد تحضر، بشكل نسبي، عند شريحة محدودة ضمن المجتمع الغربي، وذلك من جراء جهلها للإسلام، أو التأثير الأعمى لوسائل الإعلام عليها، أو بسبب سلوكات بعض المسلمين المستقرين في الغرب، أو غير ذلك. لكنها غير واردة بهذا الحجم الضخم الذي يروج له الإعلام الغربي، أو بهذه الصورة المشوهة التي ينظر لها قسم من الفكر الغربي، من هذا المنطلق، إن تفشي ظاهرة الخوف من الإسلام لا يتم استيعابها، ومن ثم الحد من امتدادها ولو الرمزي في المجتمعات الغربية، إلا بفهم معطيين متضادين، غالبًا ما يغيبان

أثناء تناول هذه الظاهرة الجديدة.

المعطى الأول: تمت الإشارة إليه آنفًا، وهو التمثيل الرديء للإسلام في الغرب من قبل ذويه، حيث يتحتم على المسلمين تفعيل آلية النقد الذاتي، ومن ثم تحسين طريقة التعامل مع الغرب، على أن لهذا الغرب عليهم حقوقًا كثيرة، كالدعوة بالتي هي أحسن، واحترام القوانين والأعراف، وإتقان العمل وغير ذلك، وبتنفيذ هذه الحقوق تنكمش ظاهرة الخوف من الإسلام، لكن ما دام أن الكثير من المسلمين متمادون في التعامل الانتهازي مع الغرب، عن طريق التخطيط لكيفية استقطاب مساعداته المادية، وجمع الثروات على حساب القانون، وكراهية غير المسلمين، واستغلال ود الغربيات من أجل تسوية الوضعية القانونية، وغير ذلك كثير، فإن ظاهرة الإسلام – فوبي لا محالة في تصاعد دائم.

المعطى الثاني: وهو معطى ينعدم له أي أثر ظاهر في أغلب الأدبيات والأبحاث والإحصاءات والتقارير الخاصة بظاهرة الخوف من الإسلام، وهو متعلق بالفكر الصهيوني، أو اليهودي المتشدد، الذي يعادي تاريخيًّا وواقعيًّا كل ما هو إسلامي، وقصد استشراء هذا العداء، ونقله إلى مختلف المجتمعات البشرية غير المسلمة، يبتكر شتى الأساليب الدعوية والإعلامية، التي يسوق بواسطتها أفكاره الخبيثة بخصوص الإسلام، ومما لا شك فيه فإن ظاهرة الإسلام – فوبي في معظم حيثياتها صناعة صهيونية محضة، يراد بها إثبات أن الإسلام يشكل خطرًا محدقًا بالكرة الأرضية، وما على المجتمع الدولي إلا مواجهته والحد من امتداده، لذلك فمن غير المستبعد أن تكون أغلب التقارير والإحصائيات والأدبيات التي يحذر، من خلالها، الإعلام الغربي من الخطر الأخضر، من صياغة

جهات صهيونية ويهودية تخدم في الخفاء، لا سيما وأن أشهر المراكز الفكرية والمؤسسات الإعلامية التي تنشط في الغرب، يسيرها مثقفون من أصول يهودية، بل ومنها ما يمول من جهات صهيونية، ومن الطبيعي أن يصب فكرها في اتجاه مواجهة الإسلام، بمختلف الآليات العسكرية والاقتصادية والثقافية والإعلامية وغيرها.

خلاصة القول، إن الحرب الإعلامية التي تمارس حاليًا على الإسلام بمسميات متنوعة، كمحارية الإرهاب، والخوف من الإسلام، ومنع الحجاب، وغيرها، هي أكثر ضراوة من أي حرب شهدتها الأمة الإسلامية؛ لأنها توجه خطابها إلى نفوس لا عقول الرعاع، وهي تدرك، بحق، أن امتلاك صوت الجماهير لا يتأتى إلا بامتلاك سيكولوجيتها، لا سيما وأنها، كما يفسر المفكر الفرنسي جوستاف لوبون، في مؤلفه (سيكولوجية الجماهير)، لا تعقل؛ لذلك فهي بتأثير من جهة معينة، قد تكون القيادة أو الإعلام، تقوم بممارسة أعمال استثنائية ما كانت مستعدة للقيام بها لو كانت في حالتها الواعية.

ازدواجية الجنسية في هولندا
بين الثابت القانوني والمتحول السياسي

تحدٍّ من داخل الحكومة الجديدة

هكذا تم تشكيل الحكومة الهولندية الجديدة، التي يطلق عليها (حكومة بالكيناند الرابعة)، نسبة إلى رئيس وزرائها (يان بيتر بالكيناند)، الذي ظل على رأسها منذ ٢٢ يوليو ٢٠٠٢، رغم أن التركيبة الحكومية تغيرت منذ ذلك الوقت أربع مرات، بسبب سقوطها أو انقضاء أجلها، لأن حزب رئيس الوزراء الذي هو الحزب المسيحي الديمقراطي، تمكن في أغلب الانتخابات التي أجريت عقب دخول الألفية الثالثة من الفوز بها، ومن ثم الانفراد بالمراتب الأولى التي تهيئه لأن يتزعم تلك الحكومات المختلفة الأحزاب والتيارات والأطياف، مما كان يجعلها متنافرة وغير متجانسة، سرعان ما تنزلق في أزمات سياسية وتسييرية، يكون مآلها تفكيك الحكومة، والتحكيم من جديد إلى صندوق الاقتراع!

وقد وجه رئيس الوزراء الجديد/ القديم، الذي كلف بتشكيل حكومته الجديدة نص التقرير النهائي إلى ملكة هولندا السيدة (بياتريكس)، وقد تعرض هذا التقرير بشكل مختصر، وفي بضع صفحات، إلى الإطار العام الذي تم فيه ولادة هذه الحكومة، التي تتكون من ثلاثة أحزاب، وهي الحزب المسيحي الديمقراطي

وحـزب العمـال ثـم الاتحـاد المسـيحي، أمـا التركيبـة الحكوميـة النهائيـة فتتشكل من ١٦ وزيـرًا، و١١ سـكرتيرًا أو كاتب دولـة، وبعد ذلك أدت هذه الحكومـة الجديـدة طقوس القسم، وذلـك فـي ٢٢ فبرايـر ٢٠٠٧ أمـام ملكـة الـبلاد، فـي مقـر سـكناها بقصـر (هاوز تن بوش)، في شمال شرق العاصمة الإدارية مدينة دين هاخ.

إلى حد تعيين الحكومة الجديدة بمرسوم ملكـي تجـري الأمـور بشـكل جد عـادي، لكـن عقب ذلـك سينشـأ جـدل سـاخن، سـواء علـى المسـتوى الإعلامـي، أو علـى المسـتوى السياسـي، وعلـة ذلـك الجدل تكمن فـي أن هذه الحكومة تتضمن كاتبا دولـة مـن أصـل أجنبي يتمتعـان بحق امـتلاك جنسـيتين؛ أولاهمـا هولنديـة، وثانيهمـا جنسـية البلـد الأصـلي الـذي ينحـدر منـه كـلّ منهمـا، ويتعلـق الأمـر بكاتب الدولة الخاص بالقضايا الاجتماعية وفرص الشـغل، السـيد أحمد أبو طالب وهو من أصل مغربـي، يخـول لـه القـانون المغربـي أن يملك الجنسية المغربية إلى جانب الجنسية الهولنديـة، وقـد أشـار إلى أنه ولو حاول التخلي عـن الجنسـية المغربيـة، فـإن القـانون المغربـي لا يسمح له بذلك، وكاتبة الدولة فـي العدالـة السـيدة نبهـات الـبيرق، وهـي مـن أصـل تركـي، وتتمسـك بالجنسـية التركيـة إلى جانـب الهولنديـة، كمـا سـبق وأن أكـدت لـرئيس الـوزراء، عنـدما أجابتـه بأنها لا تنوي التنازل عن جنسية بلدهـا الأصلي.

ازدواجية الجنسية من وجهة نظر القانون

حتى نستوعب حيثيات هذه القضية بشـكل موضـوعي وواقعـي، فـلا نخـبط خـبط عشـواء، ارتـأينـا أن نطلـع علـى نصـوص القــانون الهولنـدي بخصـوص الجنسـية المزدوجـة، ومـدى أحقيـة الهولنـديين

المتجنسين في التمتع بجنسيتين؛ جنسية البلد الأصلي وجنسية البلد المضيف، وقد وقعت أيدينا على بعض المعطيات الثمينة التي تفسر هذه القضية من الوجهة القانونية والحقوقية، وذلك في الموقع الرسمي لوزارة العدل، وبالتحديد في رابط مصلحة الهجرة والتجنيس، حيث تم توضيح ذلك في مقالة بعنوان (الجنسية المزدوجة، هل هذا ممكن؟)، ونحاول فيما يلي ترجمة وتلخيص أهم ما يقترن بقضية الجنسية المزدوجة:

"يمكن للشخص أن يحمل الجنسية الهولندية بواسطة مختلف الطرق، مثل الولادة والاعتراف والاختيار والتجنيس. وعندما يصبح بالقانون هولندي الجنسية، يستطيع أن يتمتع بجنسية إضافية. غير أن لكل بلاد قوانينها الخاصة بها، فيما يتعلق بحق الشخص في أن يملك جنسية واحدة أو أكثر.

لكن المسطرة القانونية الرئيسة في هولندا هي أنه بمجرد ما يحمل الشخص الجنسية الهولندية فإنه ملزم بأن يتخلى عن جنسيته القديمة، وهذا ما يسمى (البعد أو التخلي عن الجنسية الأصلية). حيث إن كل من يريد أن يصبح هولندي الجنسية مطالب بأن يُعلم بذلك سلطات بلده الأصلي. وعندما لا يقوم بذلك، ومن ثم لا يمارس مبدأ (البعد عن الجنسية الأصلية)، فإنه مهدد بأن تسحب منه الجنسية الهولندية.

ولا يمكن للشخص أن يبتعد عن الجنسية الأصلية إلا إذا كان ذلك ممكنًا في تشريع بلده الأصلي، فعلى سبيل المثال لا يسمح القانون اليوناني لمواطنيه بأن يتخلوا عن جنسيتهم اليونانية، وتوجد الآن ١٧ دولة تسن مثل هذا القانون الذي يمنع مواطنيها الأصليين من التنازل عن جنسياتهم الأصلية.

في مقابل ذلك تقرر قوانين بلدان أخرى أنه بمجرد ما يتجنس مواطنيها بجنسيات أخرى، فإنهم يفقدون بشكل تلقائي جنسياتهم الأصلية، كما هو الشأن بالنسبة إلى السوريتام وإندونيسيا.

باختصار، ثمة اختلاف من بلد إلى آخر فيما يخص مسألة البعد أو التخلي عن الجنسية الأصلية.

يمكن الاطلاع على مصدر هذا النص من خلال الرابط: http://www.ind.nl/nl/inbedrijf/actueel/Dubbele_nationaliteit_mag_dat.asp

بناء على ما جاء في هذه الوثيقة القانونية، التي تفسر قضية ازدواجية الجنسية، يمكن أن نفهم أن القانون الهولندي في أصله يمنع كل أجنبي تجنس بالجنسية الهولندية، من أن يحمل جنسية أخرى إلى جانب الجنسية الهولندية، ولو كانت جنسية بلده الأصلي، إلى درجة أنه إذا لم يخبر سلطات بلده بأنه عازم على التخلي عن جنسيته الأصلية، فإنه مهدد بأن تسحب منه الجنسية الجديدة التي تجنس بها، وهي الجنسية الهولندية. غير أن هذا فيما يتعلق بحوالي ١٧ دولة، ومنها المغرب، يظل ضربًا من المستحيل، لأن مواطن تلك الدول يبقى حاملا لجنسيتها إلى الأبد، ولو أنه تجنس بجنسية بلد آخر، أو أنه تخلى عنها، مما يضع القانون الهولندي أمام إشكالية عويصة، لا يمكن أن تحل داخليًا مثل باقي القضايا الطارئة التي كانت تؤرق الدولة الهولندية، بل وإن مجرد الحديث عنها يمس سيادة تلك البلدان التي يوجد مواطنوها في هولندا.

سياق الحدث

يمكن اعتبار المقترح الذي قدمه حزب الحرية PVV، الذي

يتزعمه السياسي المتطرف الشاب خيرت فيلدرس، أمام الغرفة الثانية في البرلمان الهولندي، وذلك في منتصف فبراير ٢٠٠٧، السبب المباشر في إثارة ملف ازدواجية الجنسية، لاسيما لدى أعضاء الحكومة ونواب الأمة.

وإن يبدو أن المقترح شامل من الناحية النصية، بمعنى أنه موجه إلى كل وزير أو برلماني يحمل الجنسية الهولندية وجنسية وطنه الأصل، فإنه من ناحية السياق يقصد، وبشكل لا غبار عليه، كاتبا الدولة في الحكومة الجديدة، السيد أحمد أبو طالب والسيدة نبهات البيرق، فهو ينخرط في معركة شد الحبل الدائرة بين جانب من المعارضة وبين الكتلة الحاكمة، مما يمنح هذا الخطاب طابعًا أيديولوجيًّا محضًا، خصوصًا وأن القانون الهولندي سبق وأن قال كلمته الفاصلة في هذه القضية.

أما فيما يتعلق برد فعل هذين الكاتبين في الدولة، اللذين ينحدران من نفس الحزب، وهو حزب العمال، فإن كان يظهر من الناحية السطحية موحدًا، يرفض هذا المقترح جملة وتفصيلا، فإنه من الناحية العميقة يختلف، حيث إن كاتبة الدولة في العدل عبرت، بوضوح تام، عن رفضها القاطع التخلي عن جنسيتها التركية، وهو يشكل لديها تحديًا عظيمًا، لاسيما وأن القانون التركي يخالف التشريع المغربي، من حيث إنه يسمح لأي تركي نال جنسية أجنبية أن يتخلى عن الجنسية التركية، ورغم مرونة هذا القانون، فإنها أكدت بجرأة للوزير الأول أنها لا تنوي التنازل عن جنسية بلدها الأصل.

في حين نجد أن كاتب الدولة في القضايا الاجتماعية، المغربي الأصل السيد أحمد أبو طالب، يسلك أسلوب المناورة في تعامله مع

هـذه القضـية، فهـو يـرى أن أي ارتيـاب فيمـا يخـص ولاءه للدولـة الهولندية يعتبر مبهمًا، إلى حد أنه يود عند موته أن يواري التراب الهولندي، ثم يضيف بأن اختياره انصب على أن يكون هولنديًا، وأنه لم يستعمل جواز السفر المغربي مطلقًا.

إن القراءة العميقة لهذه التصريحات التي أدلى بها السيد أحمد أبو طالب لمختلف وسائل الإعلام الهولندية، توحي بأن حبه الصريح لهولندا أمة وتاريخًا وثقافة، يفوق حبه لوطنه الأصل/ المغرب، هذا الحب الذي لا يتجاوز خط الحنين إلى ماضي الأجداد والطفولة..! ثم إننا نجزم بإنه لو كان في موقف السياسية التركية (نبهات البيرق)، بمعنى لو أن القانون المغربي يسمح له بالبعد عن الجنسية المغربية، لسارع إلى التخلي عن هذه الجنسية التي لا تتخطى عنده، كما يوحي بذلك خطابه المتاور، البعد الشكلي أو التذكاري.

بين القبول والرفض

عندما نتصفح مواقف السياسيين الهولنديين فيما يرتبط بملف ازدواجية الجنسية لدى أعضاء الحكومة أو نواب البرلمان، ندرك أن ثمة نوعين من المواقف، أولهما يرى في أن تمتع بعض السياسيين بالجنسية المزدوجة أمرًا عاديًا، لا يشكل أي تهديد أو إساءة إلى الدولة الهولندية، خصوصًا وأن ثمة مليون هولندي من أصل أجنبي، يحملون جواز سفر بلدانهم الأصلية، وأغلبهم من المسلمين، كما هو وارد في معطيات المكتب المركزي للإحصاء، يرون أن جواز السفر الهولندي يجعلهم أكثر اطمئنانًا واستقرارًا، لأنه ييسر لهم تسوية الكثير من القضايا الإدارية، ويمنح لهم فرصًا أكثر في إيجاد عمل ملائم، كما يوفر لهم حرية إضافية في التنقل بين

مختلف الدول الغربية أو من دول الإقامة في الغرب إلى الوطن.

وقد رأت وزيرة الاندماج السابقة (ريتا فردونك)، وذلك قبل أن تنصب الحكومة الجديدة بحوالي أسبوع، أنه ينبغي لنواب الأمة وأعضاء الحكومة الذين يحملون جنسيتين، أن يثبتوا فخرهم بولائهم للدولة الهولندية، وذلك عن طريق تنازلهم عن جنسيتهم الثانية. مما دفع النائب البرلماني، المنتمي إلى حزب العمال، (جيرون دايسل بلوم) للرد عليها بانفعال كبير، وهو يقول بأن ثمة مليون هولندي يحمل الجنسية المزدوجة، وأن من الصعوبة بمكان التسليم بالمقترح الذي مؤداه، بأن هؤلاء الأشخاص، أي نواب الأمة وأعضاء الحكومة، أكثر ولاء وحبًّا لبلدانهم الأصلية من الآخرين. وفي نفس السياق اعتبرت البرلمانية المغربية الأصل، المنتسبة إلى حزب اليسار الأخضر، السيدة (نعيمة أزوغ) أن تصريحات (ريتا فردونك) فاضحة تنم عن الخزي والغطرسة.

في مقابل ذلك، تسلك المواقف الثانية المعاكسة مسلكًا يعارض أي تمتع للبرلمانيين وأعضاء الحكومة بازدواجية الجنسية، فهي تحض على تفعيل هذا المقترح الذي يرمي إلى إجبار كل حكومي أو برلماني يحمل جنسيتين على التخلي عن جنسية بلده الأصل، لأنه يشغل منصبًا قياديًّا في الإدارة العليا للبلاد، ويدير مصالح حساسة، قد تتقاطع مع مصالح الدولة التي ينحدر منها، كما هو الشأن بالنسبة للصراع التركي اليوناني حول جزيرة قبرص، وموقف الدولة الهولندية من جبهة البوليساريو.

ويمثل هذا الاتجاه مجموعة من السياسيين الذين ينتمي أغلبهم إلى أحزاب المعارضة، كما هو الشأن بالنسبة إلى كل من (مارك روتو)، رئيس الحزب الليبرالي، وقد تمت الإشارة سابقًا إلى وجهة

نظر رفيقته في الحزب (ريتا فردونك)، و(جان مرانيسن) زعيم الحزب الاجتماعي اليساري، الذي أحدث مفاجأة كبيرة في الانتخابات البرلمانية الأخيرة، حيث صار حزبه القوة الثالثة في البلاد، بعد حصده لـ ٢٦ مقعدًا، وقد ذهب إلى أن من المستحسن أن يملك أعضاء الحكومة جنسية واحدة، وقد سبق له وأن عبر عن هذا الرأي لأكثر من منبر صحافي، غير أنه أثناء النقاش الذي دار في الغرفة الثانية حول ازدواجية الجنسية لزم الصمت، ثم إنه لم يبادر إلى دعم مقترح خيرت فيلدرز، لأنه، حسب ما صرح به لوسائل الإعلام، لا يريد أن ينضوي تحت المعسكر الذي يشكله زعيم حزب الحرية.

وعلى ذكر هذا الحزب، يجدر بنا أن نلمح إلى أنه حزب جديد، تبني فلسفته على العداء المعلن للمسلمين والأجانب، وقد فاز في الانتخابات الأخيرة بتسعة مقاعد، أهلته لأن يحتل موقعًا لافتًا في المعارضة الجديدة، وما المقترحات والأفكار التي يتبناها الحزب إلا انعكاس حرفي لتصور زعيمه، الذي يفاجئنا من حين لآخر بمقالاته وتصريحاته المبطنة بالعداء للإسلام، التي تذكرنا بأسلوب أستاذه اليميني المتطرف (بيم فورتاون)، المغتال في ماي ٢٠٠٢، وفيما يتعلق بازدواجية الجنسية، فقد عبر (فيلدرس) عن ذلك في مقالة له بعنوان (الجزار الذي يتذوق لحمه!)، وهي مقالة كلها سخرية وضغينة وتضارب، توفق بين المتضادات من الأمور، دون احتكام إلى آلية المنطق في التعامل مع ملف الجنسية المزدوجة، التي تمت الإشارة إلى أنه سبق للقانون الهولندي وأن وضحها وقال فيها قوله الفصل، مما يجعل من مقترح حزب الحرية مجرد زوبعة أيديولوجية طارئة، سوف تزول، فينكشف الجو ويصحو، ثم تنشأ زوبعة أخرى... وهكذا!

خلاصة القول،

يتحتم علينا فهم قضية ازدواجية الجنسية، بشكل موضوعي، وفي سياقها الجيو - سياسي الصحيح، لأنها في حقيقة الأمر قضية جد حساسة، تتخذ أبعادًا استراتيجية أكثر منها هوياتية، كما عبر الصحافي الهولندي (سايب فاينيا) في مجلة إلسفير الأسبوعية/ عدد ٢٦ فبراير ٢٠٠٧، وهي مجلة عريقة صدر أول عدد منها في أكتوبر ١٩٤٥، من خلال مقالة مركزة، تحمل عنوان (ازدواجية الجنسية.. إنها حقًا مشكلة)، حيث أشار في خاتمة مقاله إلى أن (أحمد أبو طالب) ليس بإمكانه التخلي عن جنسيته المغربية، أما (نبهات البيرق) فتستطيع التنازل عن جنسيتها التركية، وهذا أمر جيد لها، لأنها في الوقت نفسه تظل تكن الود لهويتها التركية، فهذا شأن شخصي، خصوصًا وأن الجنسية والهوية ليسا أمرًا واحدًا.

الهجرة المعاكسة:
حلم العودة الذي يأتي ولا يأتي!

حلم العودة

يشغل مصطلح (العودة) حيزًا كبيرًا في حياة الإنسان المهاجر، من وطنه الأصل إلى بلد أجنبي، قريب أو بعيد، مسالم أو معاد، فهو يشكل أمله المنشود في الحياة، فيضحي بكل ما أوتي من قوة وفكر ووقت، حتى يجني في المستقبل القريب ثمرات جهده، التي هي الرجوع بسلام إلى وطنه الأب، وقضاء ما تبقى من لحظات عمره في سعة واستغناء عن سؤال الغير! كما أن هاجس العودة هذا لا ينشأ لدى المهاجرين فقط، من جراء ما يعانونه من عزلة واغتراب، أو ما يتعرضون إليه من عنصرية وإجحاف وغير ذلك، بل ثمة قسم كبير ممن اختار الهجرة طواعية، وليس إلى الأبد، وإنما لأجل العمل أو الدراسة أو بسبب الاضطهاد السياسي أو نحو ذلك، وكل أصناف هؤلاء المهاجرين يظل يراودهم حلم العودة إلى أرض أجدادهم، التي ينظرون إليها، وهم بين أحضان الغربة، كأنها الفردوس المفقود! لكن بعد أن يحققوا المطامح التي شدوا رحال الهجرة إليها، وهي إما جمع المال الكافي كما هو الشأن بالنسبة إلى اليد العاملة، أو نيل الشواهد العلمية اللازمة كما هو الأمر لدى الطلبة والباحثين، أو تحسن أوضاع البلدان الأصلية السياسية

كما هو الشأن لدى اللاجئين السياسيين.

بيد أنه بعد مضي ما يقارب نصف قرن من الزمن، وتحقق أغلب المطامح المادية والمعنوية التي كان يتمناها المهاجرون الأول، ومن تلاهم من جيل الهجرة الثاني، يبدو أن مصطلح العودة يظل مفعوله السحري يسري في النفوس، لكن على صعيد التنفيذ يبقى محكومًا بالنسبية والتردد. ليس لأن المهاجرين لا يفكرون بنفس الإحساس القديم في أوطانهم الأصلية/ فراديسهم المفقودة، وإنما لأن السياق تغير، فنشأت تحديات جديدة لم تكن في حسبان، سواء المهاجرين من أصول غير أوروبية، أو الحكومات الغربية الجديدة، فأصبح مطمح الهجرة المعاكسة لا يتحقق، كما كان يعتقد جيل الهجرة الأول والثاني، عبر توفر بعض المال الذي يعين على العيش الكريم في البلدان الأصلية، لأن أغلب المهاجرين القدماء تمكنوا من جمع المال الكافي، وتشييد المنازل الجميلة التي تضاهي المنازل التي يسكنونها في بلاد الغربة، بل وإقامة مختلف المشاريع الاقتصادية، التي تدر عليهم من الأموال أكثر مما يتلقونه في الغرب، إلى درجة أن ثمة قولة مشهورة تتردد على ألسنة الكثير من المهاجرين، وهي: نحن أغنياء في بلداننا، لكن فقراء في المهجر!

قانون العودة في النموذج الهولندي

ترى لماذا يعجز المهاجرون عن تحقيق حلم حياتهم، الذي هو العودة إلى وطنهم الأب، بعد أن تأتت لهم شتى حوافز تلك العودة؟

قبل الشروع في تفكيك هذا السؤال المركب، الذي يعتبر المدخل الأساس إلى فهم جانب كبير من حياة المسلمين في الغرب،

نرى أنه من الأهمية بمكان التريث عند الحيثيات القانونية لهذا الملف، لاسيما وأن النموذج الهولندي يطرح لشريحة من المهاجرين إمكانية العودة إلى بلدانهم الأصلية، عن طريق منحهم شتى الإعانات المادية التي تمكنهم من العيش الكريم في وطنهم الأب، ويعود ظهور أول قانون يشجع على عودة المهاجرين إلى أوطانهم الأصلية، إلى منتصف ثمانينيات القرن المنصرم، غير أنه كان قانونًا أوليًا عمدت الدولة الهولندية في شهر أبريل من عام ٢٠٠٠ إلى تعديله، وإدخال بعض التحسينات عليه، فأضحى يتكون من صنفين من المقومات:

١ - المقومات الأساسية، وهي عبارة عن تعويضات تعطى مرة واحدة للمهاجر الذي ينوي العودة إلى وطنه، وهي تتعلق بنفقات سفر الأفراد والأمتعة، زيادة على ذلك يتلقى العائد إعانة مادية إضافية أثناء الشهرين الأولين من إقامته الجديدة في بلده، وهي تدعى تعويضًا على الاستقرار من جديد.

٢ - مقومات العودة الدائمة، وهي تتضمن راتبًا شهريًا قارًا يتلقاه المعني بالأمر بانتظام، بالإضافة إلى أنه يظل وأسرته طوال حياته مؤمنًا من قبل الدولة الهولندية، التي تتكفل بتسديد سائر تكاليف المرض الطارئ أو المزمن.

كما أن القانون الهولندي قام بتحديد أصناف المهاجرين الذين لهم أحقية التمتع بقانون العودة، وهم صنفان، على أن يتعدى سن كل من يزمع العودة إلى وطنه الخامسة والأربعين:

- الصنف الأول: يتعلق بالأشخاص الذين ينحدرون أو ينحدر آباؤهم من دول مثل: تركيا، المغرب، السورينام، اليونان،

البرتغـال، إسـبانيا وغيرهـا مـن الـدول التي يسـري علـى رعاياهـا المستقرين فـي هولندا هذا القانون.

- الصنف الثاني: يرتبط باللاجئين السياسـيين الـذين يرغبـون فـي العودة إلى بلدانهم الأصلية، أو الذهاب إلى بلدان أخـرى، انصب اختيارهم عليها.

وحتى يستفيد الراغبون فـي العـودة مـن هـذه الإمكانيات المتاحـة من قبل الدولة الهولندية، يتحتم عليهم التنازل النهائي عن الجنسية الهولندية.

سر فشل فكرة العودة

عود على بدء، حيث طرحنا السؤال المتعلق بسر عجـز المهاجرين المغاربة عـن تحقيـق حلـم العـودة، فـي الوقـت الـذي صـاروا يملكـون فيه مفاتيح هذه العودة القانونية والمادية.

إن المهـاجرين الـذين لم تـرهبهم يومًـا مـا مغـامرة الهجـرة إلى الشمال، الذي كان يعتبر آنذاك بمثابة المجهول، لأنهم كـانوا لا يعرفون عنه إلا بعض المعلومات النادرة، من مثل أن ثمـة عمـلا وافـرًا يجعل الإنسان يغتني فـي ظرف وجيـز، وأن الحياة هنالك سهلة لتوفر مستلزمات العيش الرغيد، وأن جو تلك المناطق شـديد البـرودة، وأن نساء الغرب جميلات وشقراوات... وغيـر ذلـك مـن نتـف الأخبار غير الموثوقـة. رغـم، إذن، أن صـورة الغـرب، الـذي سـوف يُهـاجر إليـه، كانت غامضة فـي أذهـان النـاس، فـإنهم جـازفوا بحيـاتهم مـن أجـل أن يصلـوا إلى ضـفة المتوسـط الشـمالية، فـي مقابـل ذلـك رغـم أن صورة الوطن، الذي يتمنى الكثيرون العودة إليه، تظل واضحة فـي أذهـان النـاس، ومستلزمات الاستقرار فيه من جديد، متوفرة، يعجز المهاجرون عن تحقيق هذا المبتغى، الذي هو قاب قوسين أو أدنـى من

حلم حياتهم الأبدي؛ وهو العودة!

إن السياق العام الجديد الذي ينتظم فيه المهاجرون، تغير تغيرًا جذريًّا عما كان عليه قبل أربعة أو ثلاثة عقود، مما أثر بعمق في عقلية الكثيرين منهم، فصاروا يفكرون بكيفية مغايرة جدًّا فيما كانوا يخططون له، وهم غرباء وفرادى في بلاد المهجر، لأنه نشأت في السياق الجديد أمور غير متوقعة، وهي في حد ذاتها تشكل تحديات صلدة في وجه كل من يطمح إلى العودة، مما أضفى على مفهوم العودة طابعًا إشكاليًّا، لأنه أصبح من المستحيل لدى عدد كبير من المهاجرين، مجرد التفكير في الرجوع إلى الوطن، فما بالك والممارسة الواقعية لهذا الحلم الصعب، من غير أن تنشأ مخاطر عويصة أكثر إشكالية، كتدمير مؤسسة الأسرة التي أنفق المهاجرون زهرة حياتهم في تشييدها!

وتتجلى أهم التحديات الجديدة التي بدأت تعرقل مشروع العودة، الذي هو حلم أغلب المهاجرين الجنوبيين (ونخص في هذا الصدد اليد العاملة المغربية)، في العناصر الآتية:

- منذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي شرع المهاجرون من أصول أفريقية وإسلامية، الذين اختاروا أوروبا الغربية مستقرًّا لهم، في تكوين مؤسسة الأسرة، وذلك باستغلال قانون التجمع العائلي، الذي يخول لهم الإتيان بأسرهم من البلدان الأصلية، والاستقرار الكامل في الغرب، وترتب عن ذلك ازدياد نسبة اليد العاملة المهاجرة، التي سوف تتمكن في زمن قياسي من أن تشكل تكتلات عائلية متشعبة، تبدأ من الجيل الأول أو جيل الآباء الذين صاروا أجدادًا لأحفاد ولدوا في المهاجر، فأصبحوا يمثلون الجيل الثالث أو الأخير، فأضحت العديد من العائلات

مستغنية عن فكرة العودة، ولو أن هاجسها يسكنها باستمرار، لاسيما وأنها أصبحت أكثر تجذرًا في التربة الغربية، إلى حد أنها غدت لا تملك في الوطن إلا أقارب قلائل من ناحية الجد أو الأب.

- هذه الوضعية التي تبدو، من ناحية أولى، صحية بالنسبة إلى الأجيال التي تربت وولدت في الغرب، تشكل، من ناحية أخرى، تحديًا بالنسبة إلى الجيل الأول والثاني اللذين مازالا تربطهما أواصر عائلية وروحية متينة بالوطن، حيث إن ثمة الكثير ممن يفكر بجدية في العودة المؤقتة، عن طريق إقامة مشاريع اقتصادية في بلده الأصلي، يمون بها أسرته التي ينوي في أن تستقر هنالك، في حين يبقى هو يتحرك بين الوطن والمهجر، حتى يتأتى له الاستقرار المادي التام، أو في العودة النهائية، عن طريق استغلال، على سبيل المثال، قانون العودة الذي تسنه الدولة الهولندية منذ أكثر من عقدين، وهو قانون مؤداه أن يرجع المهاجر نهائيًّا إلى بلده الأصلي، مقابل أن يتلقى تعويضًا ماديًّا شهريًّا، يقدر بأكثر من ٦٠٠ يورو، بالإضافة إلى تسهيلات أخرى مثل التنقل بين الوطن وهولندا، والحق في التأمينات وغير ذلك. لكن رغم هذه الإمكانيات السانحة لعودة العديد من المهاجرين إلى بلدانهم الأصلية، فإن ثمة جملة من العوائق التي تحيل دون تحقيق حلم العودة، تأتي على رأسها رفض الكثير من الزوجات لهذه الفكرة، تحت ذريعة مختلف الأسباب الخفية والمعلنة، من مثل أن الأبناء ولدوا وترعرعوا وتعلموا في الغرب، وأنه يصعب إدماجهم من جديد في مجتمعهم الأصلي، وأن أغلب أفراد العائلة، كالوالدين والإخوة

والأبناء وغير ذلك، يوجدون في الغرب، وأن إمكانيات العيش الكريم في الوطن قليلة، وأن الزوجات يتمتعن بالحرية الكافية، وأنهن يخفن من أن يتزوج عليهن الزوج مرة ثانية لأن القانون يسمح له بذلك، وغيرها من الذرائع الواهية أو المبررة.

- ثم إن الأبناء الذين يندرجون في بوتقة الجيل الثالث أو الأخير، تلقوا تعليمًا غربيًا، غالبًا ما يختلف عن التعليم السائد في البلدان الأصلية، لغة ومنهجية وآفاقًا، بل وثمة من البلدان التي لا تجمعها مع المغرب اتفاقيات خاصة بمعادلة الشواهد العلمية، وأحيانًا لا يكون هناك تبادل الاعتراف بتلك الشواهد، مثل حالة هولندا على سبيل المثال لا الحصر، مما يعرقل فكرة العودة التي يخطط لها الآباء، فتزداد إشكالية!

- كما أن ثمة قسمًا لا يستهان به من المهاجرين الذين اختاروا الزواج من الأجانب، سواء من أصل هولندي، أو من أصول مغايرة؛ أفريقية أو آسيوية أو غيرهما، وبعد مضي ردح من الزمن عن هذا الزواج، الذي يشبه المجازفة العمياء حسب ما يحكيه الكثيرون من ضحاياه، بدأت تتكشف عواقبه الوخيمة على الأبناء، وعلى العلاقة بالوطن، فتبدد حلم العودة عند أغلب من قدر عليهم (من النساء خاصة) مثل هذا الزواج!

- وتجدر الإشارة أخيرًا كذلك، إلى أن هناك عددًا كبيرًا من المهاجرين المغاربة، الذين تهيأت لهم كل الإمكانيات المادية والاجتماعية والعائلية للعودة إلى وطنهم، لكن ماانفك يساورهم التردد، وذلك جراء مجموعة من العوامل سواء النفسية، حيث اعتادوا على فكرة أن الحياة في المغرب غير مضمونة، لاسيما لأبنائهم الذين سوف يعانون لا محالة في المستقبل القريب من

آفة البطالة، أو الإدارية حيث اعتادوا على العيش في واقع منظم إداريًا، يوفر لهم خدمات عالية الجودة، في الإدارة والتعليم والمستشفى وحركة المرور والتأمينات والقطاع الخاص وغير ذلك، يحسون وهم يزورون أوطانهم زيارات قصيرة، أن تلك الخدمات تكاد تنعدم، مما يزرع في نفوسهم الريبة من المغامرة بالعودة النهائية إلى الوطن!

في نهاية المطاف، أود أن أختتم هذا المقال بكلام كنت قد أدليت به في مقدمة كتابي (المسلمون في الغرب بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل) وهو: **إن الجيل الأول هاجر إلى الغرب بعقلية مسكونة بفكرة جمع المال، والعودة إلى الوطن، لكنه لم يجمع مالا، ولم يعد إلى الوطن!** فكانت الضحية هم الأبناء الذين يمثلون الجيل الأخير، الضائع بين ركام الذاكرة وبريق الثقافة الغربية، فماذا يُنتظر من هذا الضائع، إلا ما نجنيه الآن من حماقات مجموعة من الشباب المسلم، الذي يترجّح إما بين أدنى درجة من الإيمان، وهي العصيان الذي لا يخلف إلا انحرافات غير مقبولة شرعًا أو منطقًا، وإما بين أقصى درجة من الإيمان غير الموجه، وهي الغلو والتطرف الذي لا يسبب كذلك إلا انحرافات غير مقبولة كذلك شرعًا أو منطقًا، وكلا النموذجين يقدمان صورة مشوهة للإسلام، وقلّما نجد مسلمين يتموقعون وسط هذا المعيار، فينسجون نظرة إسلامية معتدلة غير منساقة، لا إلى أولاء، ولا إلى هؤلاء.

استراحة على الطريق
بين باريس وأمستردام

جريدة الميترو (Metro)

عندما كنت عائدًا من فرنسا إلى وطني الثاني هولندا، توقفت في إحدى محطات البنزين ببلجيكا، وهي محطة تحمل اسمًا أو ماركة ذات صيت عالمي، وذلك قصد التزود بوقود السيارة الذي يكاد ينفد، كما يشير زر الساعة الموجود خلف المقود، ثم ارتشاف كأس قهوة، قد يبدد آثار النعاس التي بدأت تغزو ما حول الجفنين، وبينما وأنا ألج بناية المحطة لدفع ثمن الوقود، استرعى انتباهي كشك صغير معلق مكتوب عليه كلمة (Metro)، فعرفت توًّا أنه مخصص لجريدة الميترو المجانية المشهورة على الصعيد الأوروبي والعالمي، فأخذت منها نسختي التي كانت تنتظرني!

تصدر جريدة الميترو الورقية في حوالي مائة مدينة، في أكثر من عشرين دولة أوروبية وأمريكية وآسيوية، بمختلف اللغات العالمية من فرنسية وإنجليزية وإسبانية وهولندية وألمانية وروسية وغير ذلك، وتعتبر من أوسع الصحف الورقية اليومية قراءة وانتشارًا، حيث تستقطب يوميًّا أكثر من ٢٠ مليون قارئ، وقد ظهر أول عدد منها عام ١٩٩٥، وهي تتناول مختلف قضايا الساعة السياسية والثقافية والاقتصادية والرياضية والترفيهية وما إلى ذلك،

بلغة البلد الذي تصدر فيه، مع التركيز أكثر على ما يتعلق به من أحداث وقضايا ومواضيع وإعلانات، وتوزع في شتى نقاط عبور وتلاقي وتجمهر الناس، كما أنه يخصص لها كشك في كل حافلة أو ترام أو قطار، حتى يتيسر على كل مسافر أو متنقل الوصول إلى نسخته من الجريدة، التي تعتبر في العالم الغربي المتقدم بمثابة فطور فكري يفتتح به الإنسان يومه الجديد!

على هذا الأساس، فإن النسخة التي وقعت عليها يدي من جريدة الميترو، في تلك المحطة خاصة ببلجيكا، لكنها مكتوبة باللغة الفلامانية كما يطلق عليها هناك، أو باللغة الهولندية كما يسميها الهولنديون، وهي لغة واحدة، وإن كانت التسمية مختلفة، وهذا يعني أن ثمة نسخة أخرى مكتوبة باللغة الفرنسية، لاسيما في بلجيكا الفرنسية أو في بلجيكا التي تتحدث اللغة الفرنسية، وقد سبق لي ذات مرة أن اطلعت عليها، وهي لا تعدو أن تكون إلا نسخة طبق الأصل للجريدة الصادرة باللسان الفلاماني.

عن بلجيكا ذات اللونين؛ الفرنسي والهولندي!

هذه الازدواجية الثقافية واللغوية والبشرية وغير ذلك، تجعلني أتساءل في أحايين كثيرة عن حقيقة هذه الدولة الناشئة بين دولتين، وهي بذلك ذات شقين؛ أولهما المتاخم للدولة الفرنسية، ويدعى سكانه (الوالونيون)، الذين يشكلون ٤٠٪ من ساكنة البلاد، وهو ينزع إليها منزعًا كبيرًا، فيتشابه معها عمرانيًا وبشريًا وثقافيًا ولغويًا، تشعر هنالك وكأنك في فرنسا، لولا بعض الإشارات الطرقية، التي تعبر بشكل ما عن أنك موجود في بلجيكا، أما الشق الثاني فهو يمتد على الجنوب والجنوب الغربي

لهولندا، ويسمى سكانه (الفلامنيون)، وهم يشكلون ٦٠٪ من إجمالي ساكنة بلجيكا، وهو كذلك يأخذ كثيرًا من الهوية والحضارة الهولنديتين بشريًا وثقافيًا ولغويًا، حيث تحس وكأنك في هولندا البلجيكية، أو في بلجيكا الهولندية! مما يجعلني أفترض لو أن الشق الفرنسي من بلجيكا انضم إلى الدولة الفرنسية، والشق الهولندي من بلجيكا انضم إلى هولندا!

لكن أليس هذا الافتراض قاسًا وعبثيًا، لأنه يمس سيادة أمة ودولة، على صغرها، ذات تأثير أوروبي بل وعالمي كبير، لا تملكه الدول العربية الثلاث والعشرين مجتمعة! التي يصل تعداد سكانها إلى ما يقارب ٣٥٠ مليون نسمة، وتمتد مساحة أراضيها إلى حوالي ١٤،٥٢٧،٠٩٨ كيلو مترًا مربعًا، بل ويكفي أن عاصمتها بروكسيل تتضمن مقر الاتحاد الأوروبي، حيث تتوزع عبرها مختلف المنظمات التابعة لهذا الاتحاد، الذي تم تأسيسه عام ١٩٩٣، كما أنها تعتبر مقرًا لحلف شمال الأطلسي المعروف بحلف الناتو، الذي تأسس عام ١٩٤٩.

ثم رغم أن هذه الدويلة تبدو صغيرة على خارطة الكرة الأرضية، فلا يمكن مقارنتها إلا مع الدول التي تشغل حيزًا كبيرًا وبارزًا على هذه الخارطة، فهي من حيث التعداد السكاني تربو بقليل على عشرة ملايين نسمة، في حين أن مساحتها الإجمالية تقارب ٣٠ ألف كيلومترًا مربعًا، وهي مساحة تقل بأضعاف مضاعفة عن مساحة العديد من الأقاليم والجهات المغربية، حيث تبلغ مساحة المغرب ٧١٠،٨٥٠ كيلومترًا مربعًا! كما أن مجرد وقفة سريعة عند بعض المجالات الاقتصادية الحيوية، ومقارنتها بمثيلاتها في بعض الدول العربية، توضح مدى نمو وتطور هذه الدويلة، رغم

أنهـا تبـدو أمـام جاراتهـا مـن دول أوروبـا الغربيـة والـدول الإسـكندنافية، كهولنـدا وألمانيـا والسـويد والـدنمارك وغيرهـا، متخلفة وحقيرة!

قراءة في جريدة الميترو

أعـود إلى جريـدة المـيترو المجانيـة (عـدد يـوم الثلاثـاء ٥ يونيـو ٢٠٠٧)، التي كنت قد أخذتها من ذلك الكشك، في تلك المحطـة البلجيكيـة، الكائنـة علـى الطريـق السـيار الـرابط بـين بـاريس وأمستردام، وقد استوقفتني فيها ثلاث مقالات:

أولهما يوجد في الصفحة الرئيسة للجريدة، وهـو يحمـل عنوانًـا خط بالبنط العريض: **تراجع بطالة الشباب من أصول أجنبية**، أي مـن أصـول مغربيـة وتركيـة، والمعـروف أن الأجانـب المقيمين فـي الدولـة البلجيكيـة يقـدرون بـأكثر مـن مليـون و٣٠٠ ألـف نسـمة، يـدين حـوالي ثلـثهم بالـدين الإسـلامي، يشـكل منهم ذوو الأصـل المغربي حصة الأسد بما ينـاهز ١٢٥ ألـف نسمة، أمـا الأتـراك فيبلـغ عددهم حوالي ٧٠ ألف و٧٠٠ نسـمة، فـي حين يتوزع العـدد المتبقـى على الجزائريين والتونسيين والبوسنيين والباكسـتانيين واللبنـانيين والمصـريين والإيـرانيين وغيرهـم، وتجـدر الإشـارة كـذلك إلى أن الدولة البلجيكية اعترفت رسميًا بالدين الإسلامي، وذلك فـي شهر يوليو من عام ١٩٧٤.

بناء على معطيات المصلحة الفلامانية للعمل والتكوين المهني، توصل السوسيولوجي البلجيكي (يان هيرتوخن) إلى أنه خـلال فـترة زمنيـة مقـدرة بسـنتين تراجعـت بطالـة الشـباب مـن أصـول مغربيـة وتركية بحوالي ٣٩٪، وهذا يعتبر بحق، حسب تعبير هـذا الباحث

السوسيولوجي، تطوراً ملحوظًا يبعث على الأمل لدى مجموعة عاطلة عن العمل، معروف عنها تقليديًا أنها لا تتوصل إلى فرص العمل إلا بصعوبة قصوى!

لكن ما نفتقده في هذا المقال هو تفسير الأسباب التي ساهمت في تبلور هذه الوضعية الصحية، لشباب من أصول إسلامية عادة ما ينعت بالشذوذ والتطرف والعنف، مما يجعل منه مجرد مقال إخباري لا غير، مؤثث بإحصائيات وأرقام المصلحة الفلامانية للعمل والتكوين المهني.

أما ثانيهما، فهو كذلك مقال إخباري يوجد في صفحة (وقت العمل)، عنوانه: **الوزير الأول البلجيكي (فرهوفستادت) يربح ضعف ما يربح الوزير الأول الهولندي (بالكانند)!** وهو عنوان يبعث على الطرافة، التي من شأنها أن تزرع في نفس كل متصفح لهذه الجريدة مزيدًا من الفضول وحب الاستطلاع.

والغريب في الأمر أنه رغم أن بلجيكا على مستوى الترتيب العالمي للدول المتقدمة تتبع هولندا مباشرة، فإن وزيرها الأول يربح أكثر من نصف ما يتلقاه نظيره الهولندي، وهو مبلغ يصل إلى ٢٠٠ ألف يورو سنويًا، في حين ينفرد الوزير الأول البريطاني بأعلى أجر على المستوى الأوروبي، بالمقارنة مع أقرانه من رؤساء الحكومات الأوروبية، أما أدنى أجر فيقدر بحوالي ٤١ ألف يورو، يتلقاها الوزير الأول السلوفاكي.

في حين عنون المقال الثالث والأخير بـ: **افتتاح الدار الثقافية (Daarkom) بيروكسيل.** وهي تسمية مستقاة من اللغة العامية المغربية، توحي بحضور ثقافي مغربي في هذه الفسحة الجديدة،

التي سوف تشكل، من جهة أولى متنفسًا معرفيًا للجالية المغربية والإسلامية في العاصمة البلجيكية، ومن جهة ثانية فضاء ثقافيًا من شأنه أن يعرف البلجيكيين بجانب مهم من التراث والتقاليد والعادات المغربية، وقد أعلن وزير الثقافة البلجيكي (بيرت أنسيو) شخصيًا عن هذا المشروع الثقافي، الذي يأخذ بعين الاعتبار التلاقح الثقافي الواقع بين الثقافتين المغربية والفلامانية، كما يسعى إلى تفعيل التعاون الثقافي الذي من شأنه أن يبدد مشاعر التردد والخوف.

هكذا كانت استراحة سفري من باريس إلى أمستردام، في إحدى محطات البنزين البلجيكية، ليس لتزويد السيارة بالوقود، أو ارتشاف كأس قهوة فحسب، وإنما لأمر أهم من ذلك، لم يكن متوقعًا، بدأ بقراءة سريعة وسطحية لجريدة الميترو، ليصل إلى صياغة صورة معرفية شاملة حول قضايا متنوعة، إعلامية وسياسية وتاريخية وجغرافية وغير ذلك، لتجعل من هذا المقال ما يشبه (كوكتيلا) من الأفكار، التي وإن كان يعوزها التجانس والاتساق، فإنها تمنح القارئ متعة المعرفة التي تأخذ من كل فن بطرف!

مسلمو الغرب في زمن التصابي السياسي!
على ضوء منع ارتداء النقاب الإسلامي

المذيع وصاحب البزار والنقاب وأشياء أخرى

نادرًا ما أستمع إلى المذياع، لأن الصورة لم تدع فسحة لذلك، إلى درجة أننا نقضي أغلب أوقات فراغنا، وراء شاشة التلفاز أو الكمبيوتر، لكنني أحيانًا أحاول استثمار تلك الهنيهة التي أركب فيها السيارة، من المنزل إلى العمل، أو من العمل إلى المنزل، فأدير زر المذياع مفتشًا عن أي موجة ينبع منها الكلام، خبرًا كان، أو حديثًا، أو حوارًا أو غير ذلك، غير أن الموجات على كثرتها وتنوعها لا تسعفني؛ لأنها غالبًا ما تبث الموسيقى الصاخبة التي تشبه الضجيج الذي يحدث صداع الرأس! أو تقطع أحاديث المذيعين وضيوفهم بالوصلات الإشهارية المتكررة الرتيبة، التي تجعلك تتذمر ولا تستسيغ السماع إلى المذياع، مما يدفعك إلى إطفائه، والتخلص من ضوضائه العنيف، وموسيقاه المبتذلة، وإشهاره التافه، والاكتفاء بالصمت الذي يكتنفك وأنت وحدك داخل السيارة، لكن خلف الزجاج تعج شوارع المدينة وزقاقاتها بالحركة والضجيج والزعيق والإشارات وغير ذلك.

لكن هذا المساء دعاني شيء ما إلى أن أفتح زر المذياع، فلبيت ذلك النداء الداخلي، فإذا بي أصادف مقدم الأخبار الهولندية، في

إحدى الإذاعات التي لا أعرف اسمها، وهي موجودة على الموجة رقم ٩٨،٩، وهو يتحدث عن آخر اجتماع للجنة الأوروبية ببروكسيل، الذي تعرض إلى قضية ارتداء النقاب لدى المسلمات في أوروبا، وأشار إلى احتمال المصادقة على منعهن من وضع غطاء الوجه، لأنه يسبب العديد من المشاكل التي تتصدرها مشكلة عرقلة اندماج المسلمين في الغرب، فما استرعى انتباهي ليس هو هذا الخبر، وإنما اجتهاد مقدم الأخبار في أن يطعم هذا الحدث بشهادة واقعية، عندما انتقلت الإذاعة بميكرفونها إلى إحدى البزارات الإسلامية بمدينة أمستردام، فحاورت صاحبه الذي يبدو من خلال لكنة لسانه أنه من أصل مغربي، فطرح عليه مذيعها مجموعة من الاستفسارات المتعلقة بقضية النقاب الإسلامي، التي بدأها بماهية الكمية التي يبيعها البزار من الأنقبة، فكان الجواب أنها جد قليلة، لأن صندوقًا عاديًّا من الأنقبة يستغرق بيعه أكثر من سنة، وأحيانًا بضع سنوات! فاعتقدت أن صاحب البزار تعمد إخفاء الحقيقة، لأنه إذا قال بأنه يبيع النقاب بكثرة، فهذا يعني أن الإقبال عليه كبير، مما سوف يزيد من مخاوف المجتمع والسلطة الهولنديين، إلا أن هذا الاعتقاد سرعان ما تداعى، عندما أضاف بأن ثمن النقاب في البزار هو خمسة يورو، وهذا بالنسبة للمتنقبات ثمن مرتفع، بالمقارنة مع تكاليف النقاب المصنوع في المنزل، التي لا تتجاوز اثنين يورو! مما يجعل أكثرهن يقمن بشراء قطعة قماش بيورو واحد، وخياطته على شكل نقاب.

ثم بعد ذلك، انتقل المذيع إلى سؤال آخر يرتبط برأي صاحب البزار في ارتداء النقاب الإسلامي، فأجابه بأنها مسألة شخصية، لكن المذيع قاطعه متسائلا، ألا يشكل غطاء الوجه عرقلة

لاندماج المسلمين في الغرب؟ فكان جواب صاحب البزار مفحمًا، عندما قال بأن هذا ليس ممكنًا، لأن أغلب المتقبات هولنديات الأصل، وهذا استنادًا إلى عدد وطبيعة الزوار الذين يرتادون على البزار، وهذه ملاحظة قيمة، من شأنها أن تبعثر أوراق السلطات الأوروبية، التي ظلت تزعم أن التطرف الإسلامي يصدر إليها من الخارج، فعمدت إلى تشديد المراقبة على حركة المرور من وإلى خارج أوروبا، لكنها صعقت عندما بدأت تكتشف أن الكثرة الكثيرة من المتشددين ينتمون إلى الأجيال الأخيرة التي ولدت وتربت في الغرب، ولم تتسن لها فرصة السفر إلى السعودية أو أفغانستان، والآن يثبت واقع الأمر أن أكثر النسوة إقبالا على ارتداء النقاب الإسلامي، إنما هن أوروبيات الأصل، دخلن الإسلام إما عن طريق الزواج بالمسلمين ذوي الأصول الأفريقية أو العربية أو الآسيوية، أو عن طريق الدراسة العلمية للدين الإسلامي.

وبعد هذا التجاذب الجميل لأطراف الحديث بين المذيع وصاحب البزار، الذي يجعلك تنسى أنك تصغي إلى نشرة إخبارية عادية، عاد الأخير ليؤكد، وهو يختم حديثه، أن النقاب مسألة شخصية، فكما أن المرأة في أوروبا لها حق في أن تتعرى أمام الملأ، في الشوارع والأماكن العمومية، فإن لها الحق في أن تتستر.

الفلاح والتلفاز والبقرة وأشياء أخرى

هذا ما التقطته أذناي، وأنا أمتطي سيارتي متوجهًا إلى المنزل، بعد يوم طويل من العمل المتعب والمسئم، الذي يجبرك على أن تنخرط في عالم بعيد عن اهتمامك الفكري، يغتال فيك أي رغبة في القراءة أو الكتابة أو البحث، مما استثار في دواخلي شهية

تحويل تلك المادة الخام التي تلقيتها من مذياع سيارتي، إلى مقالة تكشف جانبًا من هذه القضية الجديدة التي راحت تشد أنظار السياسيين والإعلاميين الغربيين، هذا المذياع الذي كان لا يعدو، في نظري، أن يكونَ إلا ديكورًا بسيطًا، يملأ فجوة ما من جسد السيارة الداخلي، لكن بمجرد ما زودني بهذا الخبر، أدركت حجم قيمته المعرفية، التي لا تقل عن قيمة التلفاز والإنترنت والجريدة والكتاب، حقًّا أنه ظل طوال عقود طويلة، المورد المعرفي الأساس للإنسان، فكان كل بيت يخلو من المذياع بمثابة خربة ليس غير، حيث قبل أقل من عقد زمني، كانت تتحلق أغلب الأسر حول المذياع الذي يوضع في ركن مناسب من البيت، على طاولة جميلة، وقد أحيط بمختلف أشكال الزينة، من لوحات وأزهار بلاستيكية وغير ذلك، ليتلقى منه الناس نشرات الأخبار والحفلات الغنائية والتمثيليات المباشرة والبرامج التوجيهية، وربما لاتزال مثل هذه العادة قائمة لدى بعض المجتمعات الريفية، بيد أنه بمجرد ما اكتسحت العالم الصورة، واخترعت الشاشة وعممت، بدأ المذياع يفقد مكانته في المجتمع وداخل البيوت، ولا يحضر إلا في بعض المجالات الضيقة والمناسبات المعدودة.

عندما أخذت في تدوين هذه الأفكار التي راودتني، وأنا أقود السيارة، فكرت في أن أطلع على الموقع الرقمي للجنة الأوروبية، حتى أستمد الخبر من ينبوعه الحقيقي، فوجدته، أي الموقع، من الأهمية بمكان، لذلك أنصح أصدقائي وإخواني المثقفين والباحثين بزيارته، والاستفادة من مواده المعرفية والإخبارية الجد مهمة، فهو مكتوب بأكثر من عشر لغات، مما يمنح الجميع الفرصة في أن يتصفحوه، ويستمدوا منه مختلف المعلومات، من أخبار وتقارير

وإحصاءات، ومع ذلك فقد اعتراني ما يشبه خيبة الأمل، لأنني لم أعثر على ضالتي، التي هي اجتماع اللجنة الأوروبية حول قضية النقاب الإسلامي، فأدركت، من جهة أخرى، مدى نجاعة هذا الصندوق العجيب، الذي لولاه لما تيسر لي تحبير هذا المقال، ومن جهة ثانية مدى تهاون الإنترنت وتثاقله، رغم الإمكانات الخارقة التي في حوزته، وفي التو حضرتني نكتة كنا نرددها ونحن صبية، فنضحك ملء أشداقنا، هذه النكتة يحكى فيها أن فلاحًا اشترى جهاز تلفاز، وعند قدوم المساء انشغل ببرامجه الشيقة، وصوره العجيبة، وأخباره المتنوعة التي تقدم له مختلف الأحداث التي يشهدها العالم، وهو يتنقل بين تلك القنوات التي يلتقطها الجهاز، فأوى إلى الفراش متأخرًا، وفي الصباح بينما وهو يدخل إسطبل بهائمه، إذا به يجد أن بقرته قد ماتت، فشاط غضبه، فاتجه فورًا إلى جهاز التلفاز، فراغ عليه ضربًا باليمين، وهو يردد: تبًّا لك من غبي! كيف استطعت أن تنقل لي جميع أخبار الكرة الأرضية، ولم تستطع أن تخبرني بأن بقرتي المسكينة التي لا يفصلني عنها إلا هذا الجدار تحتضر!

غير أني لم أعامل جهاز الحاسوب بنفس أسلوب الفلاح المسكين، ربما لأنني لم أخسر بقرة، أو أي شيء آخر! وإنما قلت في نفسي ربما سوف يظهر خبر هذا الحدث على الإنترنت، بعد سويعات معدودة على رءوس الأصابع، فكان ظني ليس كاذبًا وليس صادقًا! لأنه وقع ما يشبه ذلك الحدث، فلاح خبره في سماء الإعلام الهولندي، في الوقت الذي تلاشى فيه الخبر الأول، الذي كان مادة الحوار الذي تم في المذياع بين المذيع وصاحب البزار، وفحوى هذا الخبر الذي ظهر في الإعلام الهولندي، هو مصادقة

الغرفة الثانية في البرلمان الهولندي بالأغلبية، على قانون حظر ارتداء النقاب في الأماكن العامة، وهو قانون تقدم به النائب المستقل ويلدرز، الذي يسعى منذ زمن إلى تأسيس حزب سياسي معاد للمسلمين والأجانب، وعلى هامش هذا القانون الجديد تحدثت وزيرة الاندماج ريتا فردونك عما إذا كان هذا المنع ممكنًا من الناحية القانونية، فهو يصعب أن يكون عامًّا وشاملا، لذلك فهي لا تميل إلى هذا الحظر المطلق، بقدر ما ترى أنه يفضل أن يكون مقتصرًا على بعض المجالات العامة، مثل المدرسة.

مسلمو الغرب في زمن التصابي السياسي!

إن أهم ما يمكن أن نستخلصه سواء من محاولة اللجنة الأوروبية الساعية إلى صياغة قانون يمنع مسلمات أوروبا من وضع غطاء الوجه، أم من مسارعة البرلمان الهولندي إلى المصادقة بالأغلبية على هذا القانون، يمكن أن نجمله في نقاط ثلاث هي:

أولا: إن مبدأ الحرية الشخصية التي تعتبر من أهم دعائم الديمقراطية الغربية، أضحى مجرد شعار أجوف، لا أساس له من الصحة والواقعية، مادام أنه لا وجود له يذكر في واقع الحياة اليومية، أو أنه حكر على فئات اجتماعية دون أخرى، وإلا فلماذا تمنع، كما أشار صاحب البزار، المرأة المسلمة من تغطية وجهها، في حين يسمح لغيرها بأن يتعرى، ويستعرض أعضاءه التناسلية، كما يفعل اللواطيون كل صيف في شوارع وقنوات مدينة أمستردام، وكما تصنع بائعات الهوى خلف الأبواب الزجاجية في أغلب المدن الهولندية المعروفة، هكذا فإن تغييب أو إساءة توظيف مبدأ الحرية في الديمقراطية الغربية، يجعلها مختلة، فتصبح ذات

بطن كبيرة وسيقان نحيفة! ثم إن التدخل السافر في حريات الأفراد، كما هو الحال مع المسلمات المتقبات، يوقع الأنظمة الغربية في مآزق جديدة، كانت بوسعها تجنب السقوط فيها، ومأزق قضية منع النقاب الإسلامي، يتحدد في اكتشاف الغرب أن أغلب النسوة اللائي يرتدين النقاب ذوات أصول غربية، مما يبعثر أوراق السياسيين، الذين يلفون أنفسهم أمام عقبة شاهقة كأداء لا يملكون القدرة على اقتحامها بنجاح!

ثانيًا: إن مناقشة اللجنة الأوروبية لقضية النقاب الإسلامي وإمكانية منع استعماله، ما هي إلا حلقة بسيطة في سلسلة النقاشات الكثيرة التي بدأت تسلط أضواءها الكاشفة على مجموعة من قضايا الجالية الإسلامية بالغرب، كالاندماج والتعليم والتجنيس والحجاب والإرهاب والمساجد وغير ذلك، وقد تكثف هذا الاهتمام الكبير لدى شتى الحكومات والمنظمات والهيئات الأوروبية، عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وأهم ما يمكن أن يستجلى في هذا الصدد، أن الاتحاد الأوروبي يحاول في الآونة الأخيرة أن ينال ما يشبه الإجماع والتوافق من سائر أعضائه، فيما يخص هذه القضايا المتعلقة بالخطر الأخضر، فالأمور التي كانت تطرأ في دولة أوروبية معينة، ولا تدرس وتقنن إلا داخل حدودها، بدأت تناقش على صعيد أوسع، وتوضع لها قوانين تشمل سائر الأقطار الأوروبية، وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على أن أوروبا سائرة نحو إصدار قانون موحد، ينظم قضايا الجالية المسلمة، بما يضمن مصالحها السياسية والاقتصادية والأمنية، مما سوف يشد لا محالة الخناق على مسلمي أوروبا، الذين سوف يجدون أنفسهم أمام أمرين أحلاهما مر؛ إما ولاء الغرب أو براؤه.

ثالثًا: إذا عدنا إلى الحالة الهولندية، وجدنا أنها ليست إلا تقليدًا للحالة الفرنسية، مع وجود قليل من الفرق، فإذا كان الرئيس الفرنسي قبل زمن ليس بالطويل قام بإصدار قانون يمنع حمل الرموز الدينية داخل المدارس، فإن وزيرة الاندماج الهولندية السيدة فردونك تقلده بشكل ينم عن السذاجة، عندما ترى أنه يفضل أن يمنع النقاب داخل المدرسة، مما يثبت أن خطاب الجيل الأخير من السياسيين الأوروبيين والغربيين، يكاد يخلو من المحتوى الرزين المعقول، الذي يأخذ بعين الاعتبار مختلف حيثيات السياق الذي يصاغ له هذا الخطاب أو ذاك، فالديمقراطية التي يتبجح الغرب بأنها أهم ما يمكن لحضارته أن يفخر به، صارت ألعوبة في أيدي السياسيين الجدد، يستخدمونها وفق أهوائهم الأيديولوجية، ورغباتهم الشخصية، فكانت النتيجة أن ضحوا بجملة من المبادئ الديمقراطية السامية، مثل الحرية والمساواة والإنسانية وغير ذلك، ثم إن التعدد الثقافي الذي هو من مقومات المجتمعات الغربية المعاصرة، أصبح على مرمى حجر، مادامت العديد من الحكومات الغربية في الآونة الأخيرة، لا تأخذ بعين الاعتبار مشاعر مختلف الشرائح الاجتماعية التي يتشكل منها المجتمع الغربي، مما يزرع بين أوساطها سلوكات الشحناء والعداء والانعزال وغير ذلك، أما فيما يقترن بالمصالح الكبيرة للدولة، التي هي بمثابة تركة تشترك فيها شتى مكونات المجتمع، فأضحت عرضة للتهديد والتضييع، بحكم انتهاج سياسة التقشف والترشيد على حساب مصالح فقراء الشعب المعدمين وعماله الكادحين.

إن خير ما يمكن أن نستعيره لهذه الحالة التي توجد عليها السياسات الغربية، هي قولة معبرة، قالها لي مهاجر مغربي يقطن

بهولندا، كتب عليه أن يعيش أميًّا، لكن لسانه يلهج بالحكمة؛ قال لي، وهو يصف وضعيتنا الحالية بهولندا: إن هولندا لم يبق فيها إلا صبيان السياسة المتطفلون، الذين يحكمون مواطنين سذجًا، يمكن تشبيههم بالبقر!

نافلة القول، إن المقصد من تحبير هذا المقال، ليس أن نستنكر ما يحدث في كواليس اجتماعات اللجنة الأوروبية، أو غيرها من المنظمات والهيئات المحلية والإقليمية والعالمية، وإنما محاولة فهم ما يجري، لأن ذلك يهمنا أكثر مما يهم غيرنا، أما أن تمنع المرأة المسلمة من ارتداء غطاء الوجه أو لا تمنع، فهذا لا يشكل إلا ذرة في يم التحديات الكبيرة التي تتربص بالمسلمين، سواء في الغرب أم في سائر أنحاء العالم، ثم إن هذا الغطاء لا يحظر لذاته، وإنما لأنه ينم بصلة إلى الإسلام. إن القضية ينبغي أن تؤخذ بحذافيرها، وتتناول في كليتها، فالنقاشات الجديدة التي تنصب على قضايا مسلمي الغرب، التي غالبًا ما تستتبع بقوانين صارمة تخنق حرياتهم الشخصية والدينية والثقافية، ما هي إلا إرهاصات لخطاب سياسي أيديولوجي، ظاهره تعميم القانون، وحماية المصالح، وتوجيه المواطنين، وباطنه التضييق على الأجانب، ومواجهة الزحف الأخضر، وإجبار المسلمين وغيرهم على الاندماج اللامشروط.

هل حقًا أن التسامح مجرد وهم؟

يعتبر التسامح من أرفع السلوكات التي تميز الإنسان عن باقي الكائنات، حيث على أساسه يقوم الاجتماع البشري السليم، الذي من شأنه أن يوفر بيئة نموذجية تستجيب لحاجة الإنسان في الاستقرار والتعايش والأمن والتعاقد، فيتفرغ لشئون الحياة ومقتضياتها، وهو يحصّن هذه البيئة من أي طارئ داخلي أو خارجي، انطلاقًا من جملة من الضوابط العرفية أو السياسية أو الدينية، التي تقيه شر التفرقة والتناحر والغزو الأجنبي.

لذلك نرى أن أغلب الحضارات الإنسانية والمعتقدات السماوية أو الوضعية، تولي أهمية قصوى لهذا السلوك، لأنها تدرك مدى ضرورته للعمران البشري، والتماسك الاجتماعي، والتوحد الأيديولوجي، فحاولت الدعوة إليه بمختلف الوسائل الترغيبية والترهيبية، ومن المفارقات العجيبة، أن ثمة من الأمم القديمة والحديثة، التي تنص في مواثيقها ودساتيرها الخاصة بها، على ثقافة التسامح داخل حدودها، في حين أنها أثناء التعامل مع ما هو أجنبي عنها من الشعوب والدول، تلغي هذا السلوك، معوضة إياه بالكراهية والشحناء والبغض، كما كان يصنع الرومان في غزوهم واعتدائهم على شعوب البحر الأبيض المتوسط، التي كانوا ينعتونها بالبرابرة، وكما كان يفعل اليهود في معاملاتهم التجارية مع غير اليهود، فيستعملون مختلف الخدع من ربا وكذب وقسم وغير ذلك.

ورغم أن تاريخ الإنسانية شهد تقدمًا منقطع النظير، على مختلف الأصعدة من صناعة وثقافة واقتصاد وقانون وغير ذلك، مكنه من تنظيم شئونه بشكل لم يسبق له مثيل، فأحدثت مؤسسات خاصة بذلك، وسخرت ميزانيات هائلة، وصيغت قوانين رفيعة المستوى، فتقارب الناس أكثر، وتداخلت المصالح أكثر، وتضافرت الجهود، وتوحدت الأهداف، وغير ذلك، إلا أن ثقافة التسامح انكمشت! أمام تفشي العديد من السلوكات الإنسانية المنحرفة، كالتناحر والعداء والاحتكار وانتشار المخدرات وهلم جرًا، ففي الوقت الذي كان يتوقع فيه الإنسان أنه آن لسلوك التسامح أن يتعمم، ويتقاسم عسيلته كل بني البشر، بيضا وسودًا، أغنياء وفقراء، ذكورًا وإناثًا، متدينين وغير متدينين... يبدو أن الكرة الأرضية تشهد في شتى بقاعها أعراسًا دموية يغتال على إيقاعها الأليم التسامح، وعلى مرأى من عيون الناس، بل وبمباركة من كبار العالم ومهندسيه.

إن الإنسان المعاصر لم يسخر ما حققه من إنجازات علمية واقتصادية وثقافية، لخدمة الجانب المعنوي والأخلاقي، بقدر ما وظفها لتبديد ذلك الجانب، عن طريق احتكار السوق وعولمة القيم وتسليح الإنسان وتشويه الحقائق ونحو ذلك، فترتب عن ذلك أن أصبح الإنسان، في الغالب الأعم، مسكونًا بما هو مالي وربحي، لا يهمه أن يكون شريفًا أو صادقًا أو تقيًا أو متسامحًا، وإنما يهمه أن يكون قويًا بماله وجاهه ومكانته الاجتماعية ونفوذه السياسي، مما صعد من منسوب التنافس الشرس الذي قد يمكن الإنسان من تحقيق ذلك الطموح الدنيوي، فحتم عليه التضحية اللازمة بالنفس والنفيس من أجل ذلك، فضحى بشرفه وعلمه

وأخلاقه وحتى أرضه!

هكذا سوف يصبح التسامح الذي يكد بعض الشرفاء في الدعوة إليه، عبر مختلف المؤسسات والمؤتمرات والتقارير والمساهمات، مجرد وهم، كما صرحت وزيرة الإسكان والاندماج الهولندية السيدة إلا فوخلار، في إحدى المؤتمرات التي نظمت الأسبوع الماضي (٧ ديسمبر ٢٠٠٧) بميدنة أمستردام، مما دعاني إلى كتابة هذه الورقة. وقد لاحظت الوزيرة أنه على صعيد الحياة اليومية داخل الغرب عامة، وهولندا خاصة، ينشأ شرخ عميق بين الأجانب والسكان الأصليين (الهولنديين/الأوروبيين/الغربيين)، ومرد ذلك إلى اللا مبالاة والتباعد، ثم تضيف قائلة: أردت أن أصبح وزيرة لأنه كان يزعجني ويقلقني المناخ الذي يتم فيه الجدال حول قضية الاندماج، حيث تسود لهجة مغايرة جدًا لما كنت أعهده سابقًا في هولندا المتسامحة، ولعل ذلك التسامح كان مجرد وهم! لذلك فهي تتفاءل لوزارتها بالتوفيق، إذا ما تمكنت بعد نهاية مهمتها، من أن تحقق سلوك التسامح، الذي كان مضربًا للأمثال في هولندا، ولو نسبيًا على أرض الواقع.

ترى هل حقًا سوف يتحقق فأل/ توقع الوزيرة، فترجع هولندا إلى رشدها القديم، وتصبح كما كانت قبل عقد زمني، ملتقى لتسامح الثقافات والأديان واللغات والأعراق؟ ذلك ما يترقبه كل هولندي أصلي أو من أصول أجنبية، على وقع معنى هذا البيت الشعري الجميل للشاعر الجاهلي طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا   ويأتيك بالأخبار من لم تزود

الشباب الهولندي ذو الأصل المغربي على قمة هرم الإجرام!

"يبدو أن مجموعة من الشباب المغاربة بدأت تتصدر قمة الإجرام المنظم في هولندا، وليست هي الوحيدة التي تسعى إلى الانفراد بموقع السلطة في ميدان الجريمة، وإنما كذلك أبناء الجيل الحالي يتأهبون، حيث قبل خمس سنوات كان هؤلاء المجرمون الهواة ينشطون على صعيد الأحياء، أما الآن فيمتد نفوذهم إلى ما هو وطني". هذا ما صرح به عميد مفتشي شرطة أمستردام المفصول فيلم فولدرس، في سبتمبر الماضي من السنة الجارية.

قبل الشروع في تفكيك هذا التصريح، ومن ثم محاولة استيعاب بعض جوانبه الأساسية، يجدر بنا التطرق إلى ظاهرة الإجرام في المجتمع الهولندي، نظريًّا وواقعيًّا.

إن مفهوم الإجرام يتحدد من خلال ذلك السلوك الإنساني المنحرف، الذي يترتب عنه ارتكاب الجريمة، وهي تعني مصطلحيًّا كل انحراف عن المعايير الاجتماعية والثقافية التي تتصف بقدر هائل من التعاقد والالتزام، ويفرق علماء الإجرام بين العديد من أنواع الجريمة أو الإجرام، وفيما يلي أهمها، (كما ورد في مقال هولندي لكاتبه كونيو يحمل عنوان: الجريمة في هولندا):

- الإجرام العدائي: وهو يتضمن نماذج مختلفة كالقتل والظلم

والتخريب والعنف والتمرد على النظام العام.

- الإجرام الجنسي: ويتمثل في القذف والاعتداء على الشرف والاغتصاب وممارسة الجنس على القاصرين من الأطفال.
- الإجرام المالي: وخير ما يمثله السرقة بمختلف أصنافها، وينضاف إلى ذلك الغش والتهرب الضريبي.
- الإجرام الطرقي: وهو كل ما يتعلق بما يرتكب من جرائم من قبل سائقي السيارات، تحت تأثير السكر، وبسبب عدم احترام قوانين المرور، ثم الهروب المتعمد بعد اقتراف حادثة طرقية معينة.
- وتنضاف إلى هذه السلسلة من الجرائم، جرائم أخرى بدأت تهيمن على المجتمعات الإنسانية الحديثة، كتجارة المخدرات، وامتلاك الأسلحة الممنوعة، والتجاوزات التي تمارس على البيئة، وجرائم الحرب وغير ذلك.

وثمة تقسيم آخر لا يختلف كثيرًا عن التقسيم السابق، اللهم إلا على مستوى التسميات، حيث يعتبر الإجرام العدائي نوعًا من الانتقام، ويرى في السرقة وما جاورها من الجرائم أنها ذات طابع اقتصادي، كما يتحدث عن الجرائم السياسية، كالتي تقع أثناء الحروب.

وقد نشأت نظريات مختلفة (للاطلاع أكثر يمكن تصفح الموسوعة الحرة ويكيبيديا، في نسخها العربية والإنجليزية والهولندية)، حاولت تفسير العوامل التي تقف وراء وقوع كل هذا الزخم من الجرائم، كالنظرية الاقتصادية، التي ترى أن الجريمة مترتبة عن الظروف المادية القاسية التي تعاني منها الكثير من شرائح المجتمع، مثل الفقر والبطالة، مما يجعل البعض يبرر مثل هذه السلوكات غير المشروعة قانونيًّا وعرفيًّا ودينيًّا، تحت ذريعة

الخصاص والحاجة واحتكار الأغنياء لثروات الدولة. والنظرية الجغرافية التي تفسر الجريمة من منظور جغرافي بحت، فترى أن المناخ والبيئة يؤثران في الإنسان، ويمكن النمذجة لذلك بالقرصنة البحرية أو قطع الطرق التجارية، حيث في بعض الأحيان تجعل البيئة القاحلة والخالية من الموارد، الناس يلجأون إلى مثل تلك السلوكات المشينة لتوفير موارد العيش. ثم النظرية البيولوجية، وقد أحدثت هذه النظرية دويًا كبيرًا في عالم الدراسات الإجرامية، وقد وضعها المفكر الإيطالي لومبلاوزو في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ووضح فيها النمط الجسمي الذي يميز مرتكبي الجرائم، كما بين أثر الوراثة في انتقال الإجرام، وقال إن هناك بعض الخصائص التي تميز المجرمين عن غيرهم وأهمها، عدم تماثل نصفي الجمجمة، وضخامة الفك السفلي، وفطس الأنف، وقلة شعر الذقن، وقلة الحساسية للألم، وغير ذلك، لكن هذه النظرية تظل نسبية، ما دام أن هناك الكثير من الناس الذين يحملون تلك الخصائص الجسدية، ومع ذلك فهم ليسوا مجرمين، بل ويعتبرون من صفوة المجتمع!

وعندما نربط ظاهرة الجريمة بالواقع الغربي عامة، والهولندي خاصة، ندرك أن ثمة تفريقًا لدى دوائر الشرطة والقضاء والإحصاء، بين الجرائم المسجلة وغير المسجلة، فالصنف الأول تتم دراسته بناء على معطيات مراكز الشرطة، إما انطلاقًا من الإشعارات التي يقوم بها الناس لديها بوقوع جريمة ما، وهي لا تخص كل ما يحصل من جرائم، لأن ثمة العديد من جرائم السرقة والاعتداء التي لا يخبر بها الناس مكاتب الشرطة، أو انطلاقًا مما يسجله رجال الشرطة من تجاوزات المرور في الطرقات وعبر

الشوارع، ويظل شق من تلك التجاوزات كذلك غير مسجل، لعدم مشاهدته ومصادفته من قبل رجال الأمن، ثم بناء على معلومات المحاكم، من خلال ما يعرض عليها من جرائم. أما الصنف الثاني، وهي الجرائم غير المسجلة، فيتم تناوله من خلال البحوث الميدانية والتحريات والاستمارات واستطلاعات الرأي، وقد بدأ العمل بهذه المنهجية في ميدان الجريمة بهولندا منذ ١٩٧٥، وسوف يتطور الأمر أكثر، فتنشأ انطلاقًا من ١٩٨٩ شركات ومؤسسات تتخصص في مجال الإجرام بأساليب أكثر تطورًا واحترافية.

عود على بدء، إن ما صرح به عميد مفتشي شرطة أمستردام المفصول، السيد فيلم فولدرس، يدخل في نطاق الحرب النفسية الممارسة على الجالية الأجنبية الموجودة في هولندا عامة، والمغربية خاصة، لأن معالجة هذه الظاهرة الاجتماعية المنحرفة، لن تتأتى بمثل هذه التصريحات التي تزيد الطين بلة، لا سيما وأن ثمة من المحللين من يثبت بأن الصورة المشوهة التي يقدمها الإعلام الغربي حول الإسلام والمسلمين، هي المسئولة على جانب من سلوكاتهم غير السوية. حقًا أن ظاهرة الإجرام بدأت تشهد في الآونة الأخيرة تصاعدًا ملحوظًا لدى الشباب ذوي الأصل المغربي في هولندا، حيث يشير بحث قامت به مصالح الشرطة في مختلف المدن الهولندية الكبرى، إلى أن واحدًا من كل ثلاثة شبان مغاربة، يتراوح سنهم بين الثانية عشرة والثماني عشرة سنة، سبق له وأن عرض على مركز للشرطة! بل وإنه، حسب المصالح الأمنية والبلدية والقضائية، فقط في مدينة أمستردام التي يعد سكانها بحوالي مليون نسمة، ينشط حوالي ١٥٠٠ مجرم شاب، ثلاثة أرباع منهم ذات أصل مغربي!

أمام هذه الوضعية الإجرامية المزرية، التي يتخبط فيها قسم عظيم من الشباب ذوي الأصل المغربي، في الوقت الذي يتوجه فيه الشباب الهولندي الأصل إلى المعاهد والجامعات، حاولت الدولة الهولندية نهج مختلف الأساليب الترغيبية والترهيبية، قصد الحد من تنامي الجريمة في صفوف هؤلاء الشباب، فصرفت أموالا طائلة، وسخرت مشاريع جمة، لكن دون جدوى، وهذا يعني أن ثمة خللا ما في الاستراتيجية التي تتبعها الدولة الهولندية في هذا الشأن. وهذا ما يمكن تبينه من خلال الملاحظات الآتية:

- إن الصورة المقزمة والمشوهة التي تنسجها وسائل الإعلام الغربية والهولندية حول المسلمين والأجانب، ثم مباركة سياسيين ومسئولين كبار من وزراء وزعماء أحزاب لذلك التقزيم والتشويه، يعتبر بمثابة وضع الزيت على النار لإطفائها، مما يزيد الأمر أكثر تعقيدًا واشتباكًا، فمن الطبيعي أن يكون رد فعل الشباب الأجنبي المراهق قويًّا وعنيفًا، على كل تصريح أو رأي يزدري دينه أو ثقافته أو شخصيته أو أصله، لأنه لا يزال في مقتبل العمر، لم يخض بعد تجارب الحياة، التي تعلمه كيف يتماشى مع المستجدات والحقائق التي تصدمه، فهو لا يملك إلا أن يواجه تلك الصورة التي تشوهه، في عيون غيره من زملاء الدراسة والشارع، وتضعه وأهله ومجتمعه المصغر في دائرة المنبوذين! وتختلف وسائل المواجهة وردود الأفعال، من شاب إلى آخر، كالعنف والتخريب والقتل والسب وغيرها.
- هذه الوضعية تساهم، بشكل أو بآخر، في فقدان هؤلاء الشباب للثقة في النفس، فيقل مردودهم الدراسي، وسرعان ما يغادرون المدرسة قبل إتمام تحصيلهم وتكوينهم، ناهيك عن التعليم

الهولندي، كما يستنبط عالم الإجرام التركي الأصل يوسيل يزيلغ، الذي لم يمنح الأهمية اللازمة لهم، عن طريق التعامل معهم مع مراعاة ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، مما يترتب عن ذلك فشلهم الذريع في التعليم، على هذا الأساس فإن حل معضل الجريمة لدى هؤلاء الشباب، لا يتم إلا بتحسين وضعيتهم العامة، وليس بنشر أعداد هائلة من رجال الشرطة!

- ثم تجدر الإشارة إلى مفارقة غريبة، وهي أن هؤلاء الشباب غربيون أو هولنديون بالولادة والتكوين والثقافة وغير ذلك، ولم يبق لهم من الثقافة أو الديانة الأصلية لآبائهم المهاجرين، إلا ذلك الجانب العقدي والطقوسي والأخلاقي، فعندما يتعلق الأمر بأي نجاح رياضي أو فني أو سياسي يحققونه، فهم يحسبون على الغرب، ويستقبلون بالأحضان! لكن عندما يرتبط الأمر بأي سلوك منحرف أو مشين فهم أجانب ومسلمون، يرفضون الاندماج الإيجابي في الثقافة الغربية، ويشكلون تهديدًا للمجتمع، وما إلى ذلك من أحكام القيمة المسبقة.
- كما أن المسئول الأكبر على جانب من هذا الاتجاه الإجرامي لدى هؤلاء الشباب، هو طبيعة التربية التي يحفز عليها الواقع الهولندي، وهي تربية ينبغي أن تتبنى على الحرية الشخصية المطلقة لدى الطفل، مما يتعارض والقيم السائدة لدى الجاليات الأجنبية والمسلمة، حيث ثمة خطوط حمراء يحظر على الطفل والمراهق تجاوزها، وفي هذا الصدد، حقيق بنا الإشارة إلى التصادم الذي يحدث مرارًا وتكرارًا، بين أسلوب الآباء في التربية وطريقة المدرسة، حيث يمنع الأب من زجر وضرب ابنه، ولو أنه اقترف جرمًا شنيعًا، لأن التقاليد الهولندية ترفض ذلك،

وما أكثر الآباء المغاربة الذين استدعوا إلى مراكز الشرطة، بسبب أنهم أساؤوا معاملة أبنائهم، بل وما أكثر الآباء الذين حرموا من أبنائهم وزوجاتهم، الذين يودعون في دور ومراكز خاصة، تسهر عليها جهات هولندية، تكون أحيانًا نصرانية!

- إن المجتمع الغربي عامة، والهولندي خاصة، لم يستوعب بعد طبيعة التفكير لدى الأجانب والمسلمين المستقرين في الغرب، فهو ملزم بأن يحترم بعض التقاليد الثابتة النابعة من معتقداتهم وثقافاتهم، حتى لا يسقط الكثير من الشباب والنساء في مأزق انفصامي، لا يعرفون كيف يوفقون فيه بين ثقافتهم الأصلية وبين الثقافة الغربية، فتنتج عن ذلك بعض ردود الفعل الخشنة، التي يرى فيها المجتمع الغربي تهديدًا خطيرًا لمصالحه، لذلك فإن التوجيه السليم للأبناء لا يكون بحصار الآباء بالتقاليد الغربية، التي قد تتنافى وأخلاقهم الإسلامية، وإنما بالانفتاح على طرائقهم في التربية، ودعمها بما هو إيجابي لها من الأساليب البيداغوجية والنفسية.

خلاصة القول، إن إشكالية الإجرام في هولندا وغيرها من دول العالم، لا تحل فقط عن طريق ما هو مالي، حيث إن محاربة ظاهرة الإجرام وحدها، اقتضت السنة الماضية (٢٠٠٦) من ميزانية الدولة الهولندية الإجمالية، حوالي ٣١ مليار يورو، أي ما يعادل تقريبًا ٢٠٠٠ يورو على كل فرد من المجتمع الهولندي، ولعل هذا الرقم يأتي في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية، التي صرفت في السنة نفسها لمحاربة الإجرام، ما يعادل ٧٢٠٠ يورو على كل مواطن! وإنما تحل تلك الإشكالية عبر مختلف الوسائل التواصلية والإعلامية، التي قد لا تتطلب من ميزانية الدولة ولو سنتًا

واحدًا ، مثل: التقليص من الحرب النفسية التي يمارسها الإعلاميون والسياسيون على الأجانب والمسلمين، إعادة النظر في المناهج التربوية والدراسية، مراعاة طبيعة التقاليد التي تتحلى بها الجاليات الأجنبية والمسلمة، محاولة إشراك الآباء في تربية الأبناء وتوجيههم، وما إلى ذلك من السبل الناجعة والوسائل المعقولة.

زوبعة جديدة في الأفق

إساءة فظيعة إلى نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام

بمجرد ما تهدأ زوبعة قضية ما ترتبط بوجود المسلمين في الغرب، فيتنفس الناس الصعداء، وهم يظنون أن المياه التي تعكرت قد عادت إلى صفائها الأول، إذا بحدث أفظع منه يطفو على سطح الواقع، بل وإنه مع مرور الأيام تزداد تلك الأحداث التي تمس وضعية المسلمين والأجانب في الدول الغربية ضراوة وشراسة، فتحاول الأغلبية التأقلم معها، بما تتحلى به من رابطة جأش وسماحة وتعقل، فتسعى حثيثًا إلى الكشف عن حقيقة الإسلام الوسطي المعتدل، المحجوبة خلف تضليلات الإعلام والمزاعم السياسية، وهي تبين للعالم بأن الإسلام، دينًا وثقافة وتاريخًا، لا يعادي أحدًا، لكن لا آذان مصغية لمن تنادي!

إن آخر مستجد يهيأ له في الدولة الهولندية، سوف يشكل قضية قاسية على عموم المسلمين، أينما وجدوا، فهى على الإطلاق أفظع من كل ما مضى من القضايا، حتى تلك المتعلقة بالرسوم المسيئة للرسول ﷺ، إلى درجة أن اللسان يتردد عن النطق بها، والقلم يعجز عن وصفها، لأنها لا تعادى الإسلام فحسب، فمصطلح العداء صار مألوفًا فى العلاقات الإسلامية الغربية، ولا تشتم المسلمين فقط، فالشتائم أصبحت أمرًا جد عادي في راهنهم، ولا

تصور الرسول ﷺ فى هيئة رجل شرير ومستبد، فلا قيمة لتلك التوافه فى نقاش العقلاء والمعتدلين، ولا تسحب الحجاب من على رأس المسلمات وترغمهن على السفور، ولا تهاجم ديار المسلمين تحت ذرائع واهية، ولا..!

ترى ما أفظعها من قضية، ما دام أنها تفوق كل هذه الأحداث المريرة التى تعرض لها المسلمون فى زمن قياسى، لم يتجاوز العقد الواحد؟

إن هذه القضية الجديدة المفتعلة بخبث فائق، يعبر عن مدى نذالة كل من يقف وراءها، ومن يروج لها، ومن يرخص بتنظيمها، ومجرد قراءة أولية لعناوين الوسائل الإعلامية الهولندية المكتوبة والإلكترونية والمرئية، تثبت قسوة ذلك الخبث، وتظهر بذاءة تلك النذالة، حيث نشرت إحدى المجلات الهولندية الأسبوعية الذائعة الصيت، وهى (إلسفير) فى الأول من الشهر الجارى (ديسمبر ٢٠٠٧)، مقالة تحمل عنوانًا خط بالبنط العريض وهو: **متحف مدينة لاهاى يرفض تنظيم عرض لصور محمد اللواطى**، والعنوان نفسه يتكرر بحذافيره، فى أخبار مجموعة من القنوات الهولندية المشهورة التى يطلق عليها (RTL)، وهى أخبار أذيعت عبر الفضاء، كما نشرت على مختلف المواقع الإلكترونية، وفى شتى الجرائد المكتوبة، والمقصود بمحمد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه ترجمة حرفية للخبر، كما أذيع فى القنوات، ونشر فى الصحف: "الصور تظهر الرسول محمد كلواطى، وقد رفض متحف مدينة لاهاى عرضها، لأن هذه اللوحات الفنية من شأنها أن تشكل إساءة لشرائح معينة من المجتمع"، وهذا العرض يندرج فى نطاق مشروع الفنانة الإيرانية الأصل (سوريه حيرا)، البالغة من العمر ٣٤ سنة،

والتى هاجرت إلى هولندا منذ سبع سنوات، وقد أطلقت على هذا المشروع اسم (آدم وإيوالد)، وهو يتضمن صورًا تظهر شخصين لواطيين/ شاذين جنسيًا يحملان ملامح النبى محمد وابن عمه على بن أبى طالب. وقد تلقت هذه الفنانة تهديدات عدة من جهات مختلفة، مما جعلها تخطر مصلحة الأمن بذلك، ومع ذلك فهى متمادية فى غرورها وعنادها ورغبتها الخبيثة فى إنجاح ذلك العرض.

بعد أن فشلت الفنانة الإيرانية الأصل فى إقناع متحف مدينة لاهاى بالسماح لها بتنظيم ذلك المعرض، سعت تبحث عن فسحة أخرى لصورها المشؤومة، فوجدت ضالتها فى متحف مدينة خاودا، الذى وافق فى ٦ ديسمبر ٢٠٠٧ على عرض تلك الصور الخبيثة، وقد أكدت هذا الخبر (ANP) وهى وكالة أنباء هولندية مستقلة مشهورة، تأسست منذ سنة ١٩٣٤، واسمها الجمعية الهولندية العامة للصحافة، ونشرته كبريات الصحف الهولندية، كجريدة الشعب وغيرها.

غير أن تاريخ عرض تلك الصور لم يحدد بعد، حيث يتعلق الأمر، كما أكد مدير متحف مدينة خاودا السيد رانتى تيان، ببرمجة ذلك النشاط، وسوف نأخذ الوقت الكافى لتحديد مواعيدنا بشكل جيد. ثم يرى أنه تجرى حاليًا فى مختلف وسائط الإعلام مرافعة قوية لأجل أن يعرض ذلك العمل، حيث حرية الرأى تمثل أعظم مصلحة.

وقد أجرت إحدى الجرائد الهولندية اليومية الذائعة الصيت، وهى جريدة الشعب (Volkskrant)، فى عددها ليوم ١٥ ديسمبر من ٢٠٠٧، حوارًا مع هذه الفنانة الإيرانية، تناولت فيه مواقفها العدائية للإسلام، زاعمة أنها عن طريق أسلوبها الفنى هذا، تفضح التعامل النفاقي للإسلام مع المسألة الجنسية، كما أنها أشارت في نهاية

الحوار إلى أن الدين يجعل من الناس وحوشًا، وأنها تسعى إلى تحرير المسلمين من الإسلام!

أمام هذا المستجد الفظيع، الذى يحبل به المشهد الثقافى/ السياسى الهولندى، والذى لا محالة سوف يتمخض، كما نتوقع، عن سخط عارم، تنظم فيه بعض المظاهرات، وتعمم عقب وقوعه مباشرة رسائل التهديد، وقد تحرق بعض السيارات والمؤسسات، وتتضخم مشاعر العداء لدى كلا الطرفين؛ الإسلام والغرب، لكن بعيد أيام سوف يعم صمت هادئ، كالذى يعقب العاصفة، فيتنفس الناس الصعداء، وهم يظنون أن المياه التى تعكرت قد عادت إلى صفائها الأول، غير أن الواقع بمعطياته وتوجهاته وأفكاره الراهنة، ينبئ بأنه لن يعم أبدًا صمت جميل، ولن تعود مطلقًا المياه إلى نقائها الطبيعي!

كما لو أن هولندا على فوهة بركان!

الإساءة إلى الإسلام في الغرب؛ ورقة رابحة!

شهد واقع المسلمين في الغرب تحولا بنيويًّا وسياسيًّا وثقافيًّا عميقًا، فعلى أدنى تقدير يحصل ذلك منذ ما يقارب عقدًا من الزمن، أما على أقصى تقدير فإن مقدمات وبوادر ذلك التحول، ترتبط بالسياق التاريخي العام، الذي كان يحكم العلاقات الإسلامية الغربية، عقب الاستقلال السياسي الذي حققته دول العالم العربي والإسلامي والثالثي، ويأتي على رأسها الصراع العربي الإسرائيلي وما تولد عنه من أحداث مختلفة، ثم تليه حرب الخليج، سواء في نسختها الأولى أم الثانية، ثم الصراع الجديد بين الغرب وإيران، وغير ذلك من المواجهات الباردة، والصدامات المباشرة.

غير أن أغلب هذه الصراعات والأحداث كانت تتم على الخارطة العربية أو الإسلامية (فلسطين، العراق، إيران، سوريا، لبنان، أفغانستان، السودان...)، فكانت ضحيتها الأولى الشعوب المسلمة الأبية، في حين كانت تعيش الشعوب الغربية في اطمئنان تام، لا تبالي بما يقترفه حكامها، باسم الديمقراطية، أو باسم مواجهة الخطر الأحمر، أو باسم اجتثاث الإرهاب الإسلامي، أو غير ذلك، لكن سوف، لا محالة، يأتي الدور عليها، فتصبح بيدقًا في معادلة الصراع الغربي الإسلامي الجديد، لا سيما عندما تنتقل عدوى تلك المعارك، التي بدأها وخطط لها حكام الغرب، بمباركة من

الكثير من المؤسسات السياسية والثقافية والإعلامية الغربية، إلى عقر دار الغرب، فتصبح المواجهة قائمة ومحتملة في أي وقت على الخارطة الغربية، كما تم في نيويورك وواشنطن ومدريد ولندن وغيرها، مما سوف يجعل الشعوب الغربية تعيش أو تعايش جملة من التجارب التي كانت، قبل مدة قصيرة، لا تطلع عليها، إلا من خلال وسائط الإعلام المختلفة، وذلك من باب التسلية أو ملء الفراغ أو إشباع حاجتها إلى المعرفة الحرة، أما الآن فإنها تتلظى بأخطارها المحدقة بها، إن لم يكن ميدانيًّا، فعلى الأقل نفسانيًّا، حيث تتفاقم عليها هواجس الخوف من المسلمين، الذين صاروا، حسب ما تغذيه وتسوقه مختلف وسائط الإعلام، بمثابة قنابل موقوتة تتحرك في كل أنحاء الغرب، ولا أحد يعرف متى وأين تنفجر!

في ظل هذا السياق الجديد، سوف يحاول العديد من السياسيين والإعلاميين الغربيين استثمار ورقة الإسلام، قصد تحقيق مجدهم السياسي أو نجاحهم الإعلامي، على ما لهذه الورقة من وقع في لا وعي الشعوب الغربية، حيث توارثت عن التقاليد الكنسية والأدبيات الاستشراقية تلك الصورة القديمة، التي تحط من قيمة الإسلام الدينية والحضارية حينًا، وتخوف من قوته وبطشه حينًا آخر، ويمكن تقسيم أولئك الذين يرتكز خطابهم السياسي أو الإعلامي على مبدأ الإساءة إلى الإسلام، إلى أربعة أصناف هي كالآتي:

١ - الجهل وغياب المعرفة الموضوعية اللازمة بالإسلام دينًا وتاريخًا وحضارة، حيث هناك الكثير من المثقفين الغربيين الذين يسيئون إلى الإسلام، عن عدم معرفة أساسية بالإسلام والمسلمين، ويتم ذلك، في أغلب الأحوال، بناء على ما يقرؤونه في الإعلام والصحافة، ثم ما يتلقونه من كتب المستشرقين ومؤلفاتهم.

٢ - الاستثمار السياسي لورقة الإسلام، حيث ثمة العديد من السياسيين الذين يوجهون، بوعي تام، مختلف الإساءات إلى الدين الإسلامي وذويه، مشككين في حقائقه العقدية وإسهاماته الفكرية والتاريخية والإنسانية، لأن هذا الأسلوب المبني على المناورة الأيديولوجية والإعلامية من شأنه أن يكسب أصحابه مزيدًا من القوة والقبول في الأوساط الشعبية، التي يجهل أغلبها حقيقة الإسلام ورسالته العالمية العادلة، حتى أن ثمة من السياسيين والحزبيين من لا يستخدم هذا الأسلوب المعادي للمسلمين والأجانب إلا أثناء المنافسات الانتخابية، وبمجرد ما تنتهي تلك المنافسات يخمد صوتها وينحجب.

٣ - ظاهرة العنصرية والتعصب العرقي أو الديني أو الأيديولوجي، حيث إن عداء أصحاب هذا التوجه للإسلام والمسلمين نابع من ممارستهم للتفريق العنصري، بين مختلف الأجناس التي تعيش في الغرب، حسب ما تقتضيه مصالحها السياسية والاقتصادية والأمنية، ويظهر أن المسلمين يوجدون في ذيل لائحة العنصريين الغربيين، ليس لأن الإسلام متأخر كما يزعم بعضهم، وإنما لأنه يعتبر الأنموذج الأسمى للإنسان في كل زمان ومكان، والحقيقة المثلى التي تهدد كل حقيقة دينية محرفة أو حقيقة وضعية ملفقة، وأغلب هؤلاء العنصريين يدركون ذلك، ليس في العصر الحديث فقط، وإنما منذ البعثة النبوية الشريفة.

٤ - الصنف الرابع يجمع بين الأصناف الثلاثة السابقة كلها، فهو أولا وقبل كل شيء ذو طبيعة عنصرية، تجعله يفرق بين ما هو غربي وما هو شرقي، بين ما هو مسيحي أو يهودي وما هو إسلامي، بين الأصليين والأجانب، بين الشماليين والجنوبيين

وغير ذلك، ويحاول جاهدًا أن يستثمر سلوكه العنصري هذا أثناء مختلف المناسبات الانتخابية، مركزًا في مذكرته الانتخابية على الخطر الأجنبي والإسلامي، الذي يهدد أمن ورفاهية الغرب، ثم إنه يؤسس خطابه السياسي والإعلامي على مغالطات تاريخية ومعرفية تنم عن جهله العميق بدين الآخر وثقافته وتاريخه وما إلى ذلك.

وتندرج في خانة الصنف الأخير زمرة من السياسيين والمثقفين الهولنديين، الذين يوفقون في خطابهم السياسي والإعلامي بين سائر مواقف الأصناف الثلاثة الآنفة الذكر، من جهل بارز بالإسلام دينًا وتاريخًا وثقافة، وعنصرية عارمة موجهة إلى كل ما هو إسلامي، وتوظيف أيديولوجي لورقة الإسلام، باعتباره، حسب زعمهم، يشكل خطرًا على الغرب، وتجدر الإشارة في هذا الموضع، إلى أسماء مشهورة سواء على الصعيد المحلي والهولندي، أم على المستوى الغربي والعالمي، كبيم فورتاون وتيو فان خوخ وأيان هيرشي علي وخيرت فيلدرس، وهي أسماء ساهمت بقسط وافر في تشويه صورة الإسلام في هولندا، فروجت في مختلف المحافل السياسية والإعلامية أفكارها المعادية للإسلام وأهله، وقد أفلحت، بشكل أو بآخر، في أن تستميل بعض شرائح المجتمع الهولندي، من العنصريين والمثليين الجنسيين والمرتدين عن الإسلام والملحدين وغير ذلك، وتزرع في نفوسها المريضة مواقفها الخبيثة المبنية على تخويف تلك الشرائح من الخطر الأخضر، الذي هو الإسلام، وترهيبها من انتشار سلوكات التطرف والإرهاب والكراهية التي يتحلى بها المسلمون، وهي سلوكات من شأنها أن تدمر المجتمعات الغربية وتقودها إلى الخراب!

خيرت فيلدرس مجرد بوق للمسيحية الصهيونية

ويعتبر حاليًا السياسي الهولندي خيرت فيلدرس الممثل الأول للخطاب، الذي يعادي ويرفض الوجود الإسلامي في الغرب عامة، وفي هولندا خاصة، وهو في الحقيقة خطاب ورثه ممن سبقه من المثقفين العنصريين، كبيم فورتاون الذي اغتاله مواطن هولندي الأصل، وهو يغادر مقر (Radio 3FM)، الكائن بمدينة هيلفرسوم، وذلك يوم الاثنين ٦ مايو سنة ٢٠٠٢، وثيو فان خوخ الذي اغتيل يوم الثلاثاء ٢ نوفمبر ٢٠٠٤، لكن من قبل مواطن هولندي من أصل مغربي، وأيان هيرشي علي وهي مواطنة هولندية من أصل صومالي، وقد غادرت هولندا إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعدما افتضح أمرها من قبل السلطات الهولندية، التي اكتشفت أن طلب اللجوء السياسي، الذي تقدمت به إلى الدولة الهولندية، انبنى على كثير من التزوير والكذب والتلفيق!

والملاحظ أن أغلب الأفكار المعادية للإسلام والأجانب، التي يروج لها خيرت فيلدرس هي مجرد تكرار حرفي منمق، لما كان يردده سلفه من العنصريين، كالطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم، والتنقيص من قيمة القرآن الكريم، والاستهزاء من تقاليد المسلمين، والتخويف من ظاهرة الإرهاب، والتآمر الخفي والمعلن مع اللوبي الصهيوني، والتضخيم من انتشار الإسلام وغير ذلك. ثم إن هذه المواقف والأفكار نفسها نجد لها صدى في مختلف الدول الغربية، سواء أكان ذلك لدى الأحزاب اليمينية المتطرفة، أم عند المثقفين العنصريين المستقلين. على هذا الأساس، فإن الفهم الحقيقي لخطاب خيرت فيلدرس الأيديولوجي والعنصري، لا يتأتى إلا في ضوء السياق العام للحملة السياسية والإعلامية

والعسكرية، التي يتعرض إليها الإسلام من قبل شرذمة من الصليبيين الجدد، الذين يتخفون خلف مختلف الأيديولوجيات والشعارات والمسميات، فهو يستقي معظم أفكاره من الأدبيات الغربية المعادية للإسلام، سواء أكانت أدبيات تقليدية ترتكز، أولا على الفكر الصليبي (القروسطي)، وثانيًا على الفكر الاستشراقي المتآمر مع الاستعمار الغربي، تارة باسم التبشير، وأخرى باسم البحث العلمي، أم أدبيات حديثة تجد أصلها في الفكر المسيحي المتصهين، أو في فكر المسيحية الصهيونية، وهي تحيل تاريخيًا على الكنيسة الإنجليكية، التي هيمنت عليها الحركة الصهيونية العالمية، التي ستؤسس ما سوف يعرف بالمسيحية الصهيونية، وذلك من خلال حركة أطلق عليها (المسيحيون المتحدون من أجل إسرائيل)، وهي حركة خطيرة ينخرط فيها مسيحيون يتبنون الدفاع عن إسرائيل، وقد ظهرت في فبراير ٢٠٠٦، كما ورد في موقعها الإلكتروني الرسمي (www.cufi.org)، حيث قرر القسيس جوهن حاجي بأن الوقت حان لخلق حركة وطنية لمساندة إسرائيل، وقد دعا لإنجاح هذه المبادرة الجديدة مختلف ممثلي المسيحية عبر التراب الأمريكي، وقد لبى هذه الدعوة حوالي ٤٠٠ رجل دين مسيحي، وهكذا تمت ولادة هذه المنظمة المسيحية التي تساند إسرائيل، ليولد معها تيار سياسي وفكري جديد يسمى المسيحية الصهيونية، وهو تيار تتحد فيه المسيحية والصهيونية لمحاربة الإسلام، باسم مواجهة الإرهاب والتطرف، والسهر على أمن العالم، بما في ذلك المنطقة العربية والإسلامية! وقد تمكنت من خلال هذا الطرح أن تمرر خطابها المعادي للإسلام إلى شرائح عظيمة من المجتمعات الغربية، بما في

ذلك تلك الطائفة من السياسيين والمثقفين والإعلاميين العنصريين، الذين يعتبر خيرت فيلدرس واحدًا منهم.

ترى من هو هذا الشخص الذي يمتهن حرفة العداء للإسلام، التي جعلت منه شخصية مهمة في المشهد السياسي واليومي الهولندي، رغم تفاهة أفكاره وانحطاطها؟

ولد خيرت فيلدرس في ٦ سبتمبر سنة ١٩٦٣ في غرب هولندا، وتحديدًا في مدينة (فنلو) الواقعة على الحدود الهولندية الألمانية، وقد تخصص في تعليمه الجامعي في حقل التأمينات الاجتماعية، حيث سوف يعمل موظفًا عاديًّا في مصلحة التأمينات لمدة لم تتجاوز الأربع سنوات، ثم بعد ذلك، سوف ينخرط في الحزب الليبرالي (حزب الشعب للحرية والديمقراطية)، المعروف بحزب رجال الأعمال، المتشدد في الكثير من القضايا التي تمت بصلة إلى وجود المسلمين والأجانب بهولندا، وكانت وظيفته داخل الحزب ترتبط بالشئون الاجتماعية والاقتصادية للحزب، ثم كتابة خطب الحزب في البرلمان، وقد امتد ذلك من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٨، غير أنه منذ غشت ١٩٩٨ سوف يلج حلبة السباق السياسي، فيصبح عضوًا برلمانيًّا في الحزب الليبرالي حتى سبتمبر ٢٠٠٤، وعقب ذلك مباشرة سوف يشكل فريقًا برلمانيًّا يحمل اسمه، وفي ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٦ سوف يتزعم حزب الحرية، الذي أحدث المفاجأة الكبرى في انتخابات ٢٠٠٦ البرلمانية المؤدية إلى الغرفة الثانية، عندما تمكن من نيل تسعة مقاعد داخل البرلمان الهولندي.

إن الملاحظة الأساسية التي يمكن أن يسجلها أي قارئ لسيرة فيلدرس التكوينية والعلمية والفكرية، يستجلي أنها جد هزيلة، ومرد ذلك إلى أمرين؛ أولهما يتعلق بتكوينه الدراسي حيث لم

يتخصص في حقل معرفي متميز، يؤهله لأن يمارس السياسة بنوع من التنظيم والعقلانية، كالعلوم السياسية والإنسانية والإعلامية والإدارية، بقدر ما تلقى تعليمًا عاديًا يرتبط بميدان التأمين عمومًا، وثانيهما يتصل بالعطاء الفكري، حيث لم يعرف عنه أنه ألف بحوثًا أو دراسات علمية وفكرية متميزة، إذا ما تم استثناء المقالات الصحافية التي ينشرها في بعض وسائل الإعلام، وهي مقالات كلها سب وقذف وتجريح واستهزاء! فماذا يتوقع من صاحب هذه السيرة الجد عادية، أن يقدمه للمجتمع الهولندي، وهو لا يملك إمكانيات علمية ومنهجية تجعله يفهم السياق الذي يعيش فيه، بإدراك عميق ونظرة منفتحة، لذلك فإن الطرح الذي يروج له ينسجم أكثر وهزالة تكوينه، بل وضيق مداركه، في تضافر مع الروح العنصرية التي تربى عليها، فكان وبالا ليس على المسلمين فحسب، وإنما كذلك على الأمة الهولندية جمعاء.

استراتيجية العداء للإسلام في هولندا

إن خيرت فيلدرس يركز في خطابه السياسي والفكري المنطوي على عدائه الشرس للإسلام والمسلمين، على جملة من المواقف والأفكار، التي تتكرر باستمرار إما في مشاريعه البرلمانية، أو في تصريحاته ومقالاته الصحافية، وكما تمت الإشارة آنفًا فهي مواقف وأفكار يستمدها من المستشرقين والمسيحيين المتصهينين والعنصريين، ويتحدد أهمها في: الطعن في الرسول ﷺ، الاستخفاف من قيمة الإسلام والمسلمين، إلصاق تهمة الإرهاب بأهل الإسلام، الترهيب من ازدياد عدد المسلمين، الإساءة إلى القرآن الكريم، وغير ذلك. وسوف أحاول في هذا الصدد تجميع وتصنيف وترجمة أهم آرائه بخصوص جملة من قضايا

المسلمين في الغرب عامة، وفي هولندا خاصة، وأغلب هذه الآراء مبثوثة في المقالات الصحافية التي ينشرها، في أعمدة يخص بها بعض المنابر الإعلامية الهولندية، كموقع (الأخبار الجديدة أو المستجدات)، وفي الحوارات المتنوعة التي أجرتها معه مختلف وسائل الإعلام الهولندية، من صحافة مكتوبة وإذاعات وقنوات ومواقع رقمية وغير ذلك.

الطعن في الرسول ﷺ

إن أهم ما يصرح به خيرت فيلدرس حول الرسول ﷺ، ويتبناه من أفكار مسمومة ومعادية، قد سبق وأن خطه في مقالتين، تم نشرهما في عمود خاص به، يكتبه في موقع (الأخبار الجديدة www.nieuwnieuws.nl)، وهو عبارة عن شبكة إخبارية متخصصة في آخر الأخبار والمستجدات، وتتعاون مع مختلف الوكالات والمواقع الإخبارية الهولندية.

إن المقال الأول يحمل عنوان (محمد حي)، وقد أساء فيه إلى نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، عندما تحدث عن زواجه بحوالي ثلاث عشرة امرأة، وأصغرهن عائشة رضي الله عنها، التي تزوجها وهي في السادسة من عمرها، ودخل بها عندما بلغت التاسعة، وقد وظف في هذا الموضع عبارات خبيثة، يخجل المرء من أن ينطق بها أو يسمعها، في حق أعظم إنسان شهده التاريخ، ألا وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك يعير الإسلام بأنه دين ينتج العنف ويسفك الدماء، ويشير إلى أن محمدًا شارك في حوالي ٢٧ حربًا دموية، وأنه أعدم ٧٠٠ يهوديًا وأسر الآخرين، على هذا الأساس فإنه لا يعدو أن يكون إلا إنسانًا منحرفًا ومحاربًا عنيفًا. وما

يلاحظ أن فيلدرس يكرر الأفكار نفسها التي كانت سائدة عند كل من ثيو فان خوخ المغتال، وأيان هيرشي علي الهارية!

أما المقال الثاني فعنوانه (محمد: الغزو الإسلامي)، حيث يستقي رؤيته من البروفيسور رفائيل إسرائيلي، الذي يرى أن أوروبا تعرضت لثلاث حملات غزو من قبل المسلمين، أولاهما عندما بلغت الجيوش الإسلامية جنوب فرنسا، وذلك عام ٧٣٢، والثانية عندما اكتسحت الجنود العثمانية شرق أوروبا ولم تتوقف إلا على مشارف فيينا، وذلك عام ١٦٨٣، والآن يبدو أن أوروبا تتعرض لغزو إسلامي ثالث، وذلك أمام المد الإسلامي الجديد في الغرب، حيث تشير الإحصائيات الرسمية إلى تزايد مطرد في عدد مسلمي أوروبا والقارة الأمريكية.

وقد أشار الكاتب في بداية هذا المقال إلى أنه تلقى أكثر من ١٥٠٠ رسالة كرد فعل على المقال السابق، الذي أساء فيه إلى الرسول ﷺ، وقد تأسف لما ورد في رسائل بعثت إليه من مواطنين هولنديين مسلمين، تجمع على أن حياته على الكرة الأرضية تبدو جد قصيرة!

الحط من قيمة الإسلام والمسلمين

"ليس المثليين الجنسيين (اللواطيين) أحط من الخنازير، بل المغاربة الذين يظلمونهم أو يسيئون معاملتهم"، هذا ما كتبه خيرت فيلدرس حرفيًا في مقالة له، عنونها بـ(أحط من الخنازير)، وهي منشورة في عموده بالموقع الرقمي المشار إليه سالفًا، وكذا في صفحته الخاصة بموقع الحزب الذي يتزعمه، وهو حزب الحرية (www.pvv.nl)، وما يفهم من ذلك الكلام هو إما أن فيلدرس

لـواطي، يشـعر بـأن أي إسـاءة إلى المثليين مـن قبل المسـلمين، إنمـا تشكل تهديدًا له ولجماعته، وإما أنه يحاول توظيف قضية المثليين/ اللـواطيين فـي مذكرتـه السياسـية، علـه يـتمكن مـن اسـتقطاب أصواتهم، وقد نجح في ذلك، أثناء انتخابات ٢٠٠٦ البرلمانية.

ثم إن هذه الإهانـة التي يوجهها إلى المغاربة، هـي فـي حـد ذاتها إهانة إلى الإسلام والمسلمين، فهو بعدما ينهي الحديث، فـي ذلك المقـال، عـن المضـايقات الـتي يتعـرض إليهـا بعض المثليين، مـن قبـل مجموعـة مـن الشـباب الهولنـدي مـن أصـل مغربـي، يـربط القضـية مباشرة بالإيديولوجيا أو الديانـة الـتي يتبناهـا هـؤلاء وهـي الإسـلام، يقـول: "مـن الواضـح أن هـذا العنـف وهـذه الكراهيـة مترتبـان عـن الطريقـة الـتي ينظـر بهـا فـي الإسـلام إلى المثليـة الجنسـية، حيـث اللواطيـون يعتـبرون أحـط مـن الخنـازير. هكـذا فإنـه بحكـم الأيديولوجية الإسلامية المحمية من ثلة من السياسيين السـذج يبدو أن المثليين الجنسيين في هولندا في خطر".

إلصاق تهمة الإرهاب بأهل الإسلام

يصف فيلدرس فـي مقالة له تحمل عنوان (غـار غوانتانـامو) وهـي كذلك منشورة في موقع حزبه، تفاصيل زيارته لهذا السجن الذي وضـع خصيصًـا لإهانـة الإسـلام والمسلمين، باسـم محاربـة الإرهـاب وحمايـة الأمـن العـالمي، ثـم يشـير إلى أن ٣٣٥ مـن الأعـداء المقـاتلين كمـا يحلـو لـه أن يسـميهم، يعـاملون جيـدًا، حيـث الزنـازن نظيفـة، والتجهيـزات الطبيـة معتـبرة، والأكـل متـوفر، إذ بعشـرين دولارًا يمكن لك اقتناء وجبة غذاء لذيذة!

وكما يبدو فإن فيلدرس قد أعجب بتجربة غوانتانامو، وتمنى

لو أن الحكومة الهولندية تقتدي بتلك التجربة الأمريكية، فتقدم على فتح غوانتانامو آخر في هولندا، وهو على أتم الاستعداد لوضع اللبنة الأولى له، حيث إنه يرى أن لا مفر من التهديدات الإرهابية التي تحدق بالدولة الهولندية إلا بممارسة الحرب على الإرهاب، لكنه لا يحدد معنى هذا المصطلح بقدر ما يلصقه بكل ما هو إسلامي، ولو كان معتدلا وسمحًا، وهذا ما عبر عنه في تصريح له لجريدة الشعب الهولندية، يقول فيه: "ليس هناك فرق بين الإسلام الجيد (يقصد المعتدل) والإسلام الرديء (يقصد المتشدد)، هناك إسلام واحد".

الترهيب من تصاعد عدد المسلمين

يعتبر خيرت فيلدرس من الذين يعارضون بشدة هجرة الأجانب من أصول إسلامية إلى هولندا، وهو يشدد على هذه النقطة في المذكرة السياسية لحزبه، حيث قدم للبرلمان الهولندي مشروعًا أو خطة تتكون من عشرين نقطة، توضح كيفية الوقوف في وجه الهجرة القادمة من الجنوب عامة، والعالم العربي والإسلامي خاصة، وهو بهذا لا يرفض الهجرة مطلقًا، بقدر ما يتناولها بأسلوب عنصري، يفرق فيه بين الأجانب من أصول غربية، الذين ينظر إليهم نظرة إيجابية ملؤها الإعجاب والتقدير، وهذا أمر جد عادي ما دامت تجمعهم نفس الملة والهاجس والهم، والأجانب من أصول جنوبية، الذين يعتبرهم مصدر الهلاك والمشاكل والتأخر، وهو يستمد أغلب هذه الأفكار، كما يشير في مقالة له بعنوان (كارثة الهجرة)، من كتاب أصدره زميله في الحزب سييستا فريتسما وهو موسوم بـ (كارثة الهجرة في هولندا)، وتتحدد الفكرة الأساسية للكتاب في أن الهجرة التي تمت في العقود

السابقة إلى هولندا هي المسئولة على الإشكالات الكبرى التي يتخبط فيها الواقع الهولندي، ولا سيما هجرة الأجانب من أصول غير غربية، وأكثرهم عُدّة وتأثيرًا هم المسلمون، الذين يتضاعف عددهم كل ٢٥ سنة، بمعنى أن بعد ربع قرن سوف يصل عددهم في هولندا وحدها حوالي المليونين، وفي أوروبا حوالي الخمسين مليون، مما يجعله يستشعر خطر الإسلام القادم بذعر وتشنج، وهذا ما يبدو جليًا من خلال هذه الصرخة التي يطلقها في الفقرة الأخيرة من مقالة له تحمل عنوان (الجنسية المزدوجة): باستمرار هذه السياسة الغربية الفاسدة، إن الإسلام لا محالة سوف ينتصر ويهيمن، لكن هذا لن يحدث أبدًا ما دمت أنني هنا!

الإساءة إلى القرآن الكريم

"القرآن يزرع الكراهية، أما أنا فلا!"، يبدو أن هذه العبارة الخبيثة أصبحت شعار المرحلة الراهنة، في حملة خيرت فيلدرس الجديدة على الإسلام والمسلمين، فهي تتكرر في مختلف مقالاته وحواراته وتصريحاته، بل وأكثر من ذلك قد سولت له نفسه المريضة أن يقوم بتشريح القرآن الكريم بمبضعه الأيديولوجي، لكن قبل أن يشرع في ذلك، بدأ معركته ضد القرآن الكريم، بتصريح دنيء أدلى به في فبراير من السنة الماضية (٢٠٠٧)، لجريدة (الصحافة) اليومية، جاء فيه أنه إذا أراد المسلمون البقاء والعيش في هولندا، فما عليهم إلا تمزيق نصف القرآن ورميه، ثم يجب عليهم أن لا يسمعوا إلى الإمام، ومن يفعل ذلك ينبغي أن يعاقب من لدن الدولة الهولندية! فهو لا يتفوه بهذا الكلام، إلا لأنه يدرك قيمة القرآن في حياة المسلمين، ومدى تمسكهم بأحكامه وتعاليمه، رغم المنع الذي يطال تطبيقه حتى في أغلب دول العالم

الإسلامي، مما يحفزه أكثر على الدعوة العلنية إلى منع القرآن في هولندا، فهو، كما يزعم، جوهر الشر! بل وأكثر من ذلك، فإنه يقارنه بكتاب (كفاحي) لأدولف هيتلر، كما جاء في تصريح له لجريدة الشعب: "جوهر المشكلة هو الإسلام الفاشي، أيديولوجية الله ومحمد المريضة، كما هي موضوعة في (كفاحي) الإسلامي: القرآن"، على هذا الأساس يبني فرضيته التي تقول بمنع القرآن، الذي يماثله بكتاب هيتلر (كفاحي) الذي كتبه سنة ١٩٢٤، وتم حظره في هولندا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، فما دام أن القرآن، كما يزعم، يتشابه مع كتاب أدولف هيتلر في أكثر من نقطة وقضية، فما على الدولة الهولندية إلا منعه!

وتعزيزًا لموقفه العدائي من القرآن الكريم، يمضي فيلدرس على خطى خلفه السابق ثيو فان خوخ وأيان هرشي علي، اللذين سبق وأن أساءا إلى القرآن الكريم، من خلال الفيلم القصير الذي أنتجاه، وعنوانه (الخضوع)، "وهو يستعرض عبر ١١ دقيقة من الزمن حوارًا داخليًّا أو مونولوجًا، لامرأة تبدو من حيث زيها أنها مسلمة، والزي عبارة عن نقاب أسود شفاف ناحية الصدر وبعض مواطن جسدها، كما أن جسد هذه المرأة مخطوط عليه آيات قرآنية، ويفاجأ مشاهد هذا الفيلم، عندما يرى أنها تتقدم نحو السجادة ليس للصلاة، وإنما لبث شكاواها من الإسلام، حيث تقدم نفسها وكأنما كتب عليها الألم والشقاء، خلف لباس أسود لا يبين إلا عينيها، كما أنها تحاول سرد بعض أشكال المعاناة التي تعرضت إليها عبر مراحل حياتها"، وقد ارتأى فيلدرس أن ينتج بدوره فيلمًا يتناول فيه القرآن الكريم، ولم يبين طبيعته ومحتواه، وقد صرح لمختلف وسائل الإعلام الهولندية بأن الفيلم سوف يتم

عرضه في أواخر شهر يناير ٢٠٠٨، مما منح هذا الحدث المحتمل وقعًا قويًّا، لدى شتى شرائح المجتمع الهولندي، من مواطنين عاديين، ونخبة ثقافية وسياسية، ومسئولين محليين ووطنيين، فأصبح كما لو أن هولندا على فوهة بركان، ينفجر بمجرد ما يظهر ذلك الفيلم المشؤوم، مما جعل الأمن الهولندي على استعداد تام لتفادي ما يحتمل من مواجهات وخسائر وعنف، قد تحدث مباشرة عقب عرض ذلك الفيلم.

مخاوف الدولة الهولندية من رد فعل المسلمين

تتوقع الأوساط الإعلامية والسياسية والأمنية في هولندا بأن عرض فيلم خيرت فيلدرس حول القرآن الكريم، على المستوى الخارجي سوف يؤثر في الشعوب العربية والإسلامية كما العادة، فتخرج إلى الشارع لتعبر عن تذمرها واستنكارها، كما أنه يتخوف بأن يسبب ذلك الفيلم بعض المشاكل في العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية للدولة الهولندية مع دول العالم العربي والإسلامي، أما على المستوى الداخلي فسوف يجرح، بلا ريب، مشاعر حوالي مليون مسلم ممن يقيمون في المملكة الهولندية، مما سوف يخلق جوًّا مشحونًا بالمواجهة والصدام ومزيدًا من التباغض، وقد بدأت تلوح في الأفق إرهاصات ذلك، وهذا ما يلتمس من خلال تصريحات ومواقف بعض المسئولين الذين يرفضون صراحة أفكار فيلدرس ومشاريعه الجهنمية، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن جهات حكومية هولندية منشغلة بما سوف يترتب عن هذا الفيلم، كالمنسق الوطني لمحاربة الإرهاب، ووزير الشئون الخارجية، ووزير العدل والشئون الداخلية، فهؤلاء، كما تؤكد جريدة تلغراف اليومية، متخوفون مما سوف يخلقه الفيلم

في العالم الإسلامي من تهديدات للمصالح الهولندية، في حين أشارت جريدة الشعب إلى أن القضاء الهولندي يدرس إمكانية عرقلة بث هذا الفيلم، ثم إن ثمة الكثير من أعضاء البرلمان الهولندي المنتمين إلى كل من الحزب المسيحي والحزب الليبرالي والحزب الاشتراكي، الذين أجمعوا على أن فيلدرس ذهب بعيدًا في تصريحاته، ولم يراع مبدأ حق التدين، أما فيما يخص الإجراءات الأمنية المتخذة من قبل الأجهزة الأمنية والمخابراتية الهولندية، فقد أجمعت الصحافة الهولندية على أن مصالح الشرطة في المدن الهولندية الكبرى في ذروة استعدادها لتفادي أي مواجهة أو صدام أو تهديدات إرهابية، كما أن أمن منطقة ليمبورخ التي يتمتع فيها حزب فيلدرس بهيمنة قوية، قد اتخذ تعزيزات إضافية خصوصًا في الأحياء التي يوجد فيها المسلمون.

أما فيما يتعلق بالرأي العام الإسلامي، بما في ذلك مواقف الشارع والنخبة، فإن كذلك ثمة أكثر من مؤشر على أن الأمور ليست على ما يرام، حيث سجلت مصالح الوزارة العامة إلى حدود منتصف شهر نوفمبر من السنة الماضية (٢٠٠٧)، أكثر من ٤٤ شكوى ضد خيرت فيلدرس، كما أن تيار الاشتراكيين الأمميين نظم في منتصف شهر يناير ٢٠٠٨ مظاهرة معارضة لفيلدرس، في مختلف المدن الهولندية المعروفة كأمستردام وخرونينكن ولايدن وتيلبورخ وروتردام وأوترخت، وقد ترتب عن تلك المظاهرات اعتقال حوالي ثمانية متظاهرين من قبل جهاز الشرطة، وذلك في مدينة أمستردام، بما فيهم العضو البرلماني توفيق ديبي، وهو من أصل مغربي ينتمي إلى حزب الخضر، (يمكن الاطلاع على سيرته في موقع حزب الخضر: http://www.groenlinks.nl/kandidatenlijst/tofikdibi). في حين قام

تنظيم يدعى حزب التحرير، وهو تركي الأصل، بتوزيع مناشير في مختلف المدن الهولندية، يحض فيها المسلمين على النهوض للدفاع عن دينهم الإسلامي، عن طريق التصدي لهذا الفيلم عن القرآن الكريم، هذا ناهيك عن عشرات الأنشطة التي تنظمها مختلف الجمعيات والمنظمات والمراكز الإسلامية والمغربية، كتنظيم حلقات النقاش، وجمع التوقيعات، وإصدار بيانات الاحتجاج، وتدارس الإمكانيات الناجعة لمواجهة الإساءات التي يتعرضون لها داخل هولندا، وغير ذلك. كما تجدر الإشارة إلى أن إحدى المحاميات الهولندية، وهي إلس لوكاس، التي تنحدر من مدينة ليلي ستاد، رفعت شكوى ضد فيلدرس، واعتبرت أن مواقفه المعادية للمسلمين، تتعارض وقانون الأجانب الذي تعتمده الدولة الهولندية.

ويظهر جليًّا أن هذه المواقف وغيرها ترجح كفة الإسلام في هولندا، وتثبت من ناحية أولى، مدى غيرة أبنائه عليه، ومن ناحية ثانية مدى التعاطف الذي يتلقاه من جهات متعددة، سواء أكانت رسمية أم نخبوية أم شعبية، لكن المهم هو كيفية استثمار هذه الغيرة الصادقة، وذلك التعاطف الإيجابي، لأن مسلمي الغرب عامة عهدوا تضييع العديد من الفرص التاريخية التي سنحت لهم، ليخدموا العقيدة الإسلامية بعقلانية وحكمة وانفتاح.

وفي خضم هذه النازلة الخطيرة المتوقع حدوثها بين عشية وضحاها، طفا على سطح الواقع تجمع جديد يدعو إلى وضع استراتيجية شمولية، للتعامل مع ما يطرأ من إساءات جديدة توجه إلى الإسلام والمسلمين في الغرب، وقد نظم هذا التجمع لقاء على الصعيد الهولندي، حضره أكثر من ٢٠٠ شخص، يمثلون مختلف الشرائح الإسلامية عامة، والنخبة المغربية خاصة، بشتى تياراتها

وأطيافها واهتماماتها، وقد تم ذلك اللقاء بمدينة لايدن، بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠٠٨، تحت إشراف الأستاذ محمد الرياع، وهو سياسي نشيط لدى حزب الخضر، وقد كان عضوًا برلمانيًا بين سنة ١٩٩٨ و٢٠٠٢، كما اشتغل مناصب إدارية وسياسية وثقافية متنوعة، (ويمكن الاطلاع على سيرته في موقع البرلمان الهولندي: http://www.parlement.com/9291000/biof/02537)، وما استنبطه أغلب من حضر هذا اللقاء، أنه يعتبر من أفضل اللقاءات الناجحة التي ينظمها تجمع مغربي بهولندا، وهو تجمع لا يحمل أي اسم أوعنوان، تفاديًا للحزازات الأيديولوجية والعرقية والمذهبية، وبعد يوم من النقاش الجاد والتبادل البناء للأفكار والآراء، كانت النتيجة مجموعة من الاقتراحات، التي سوف تعمل لجنة من هذا التجمع على تنفيذها، وهي كالآتي:

- إيجاد آلية ناجعة حول كيفية التفاهم العقلاني مع الشباب المغربي، تفاديًا لأي رد فعل عنيف إزاء أي إساءة يتعرض إليها الإسلام داخل هولندا عامة، وإزاء فيلم خيرت فيلدرس خاصة.
- تأسيس موقع إلكتروني على الإنترنت، يبين استراتيجية هذا التجمع العقلانية والحكيمة، التي تجنب وقوع الضرر على المسلمين بهولندا.
- صياغة رسالة حول فيلم فيلدرس الذي يريد من خلاله الإساءة إلى القرآن الكريم، وبعثها إلى رئيس الحكومة الهولندية.
- وضع الشكاوى لدى مراكز الشرطة في مختلف الأحياء والمدن، وبشكل مكثف، سواء بصيغة فردية أم جماعية، ويستحسن بحضور بعض وسائل الإعلام، كما يمكن استعمال

موقع التجمع لتوجيه الشكاوى إلى الشرطة والقضاء.

- انعزال المغاربة فيما يخص تمثيل الإسلام، والذود عن حياضه، وذلك ناتج عن انسحاب أو لا مبالاة الجاليات الإسلامية الأخرى، وقد أكد التجمع على التعاون في هذا الشأن مع باقي التنظيمات الإسلامية غير المغربية، وكذا الجهات غير الإسلامية المتعاطفة مع المسلمين.
- تعيين ناطقين رسميين باسم التجمع، في المدن الهولندية الكبرى.
- جمع أكبر قدر ممكن من التوقيعات التي تندد بهذا الفيلم المتوقع ظهوره.
- أثناء عرض الفيلم، تشرع سائر المساجد والجمعيات الإسلامية أبوابها للجميع، مسلمين وغير مسلمين، لمناقشة هذه القضية الطارئة.

ويجدر الإلماع إلى أن هذا اللقاء تم بعيدًا عن وسائل الإعلام الدولية والهولندية، التي اتصلت باللجنة المنظمة، غير أن التجمع اتفق على ألا يكشف عن نتائج لقائه، إلا في ندوة إعلامية قادمة، تحضرها أهم الوسائل الإعلامية المحلية والعالمية.

خلاصة القول، إن المسلمين في الغرب عامة، وفي هولندا خاصة، يتألمون لأي إساءة تمس هويتهم الإسلامية، كيفما كان وقعها أو تأثيرها، مما يشعرهم دومًا بأن مستقبل وجودهم في الغرب يظل مهددًا، لا سيما وأنه من شأن تلك الإساءات أن تنمي لدى السكان الأصليين نزعة الرفض لكل ما هو أجنبي أو إسلامي، غير أنه من جانب آخر يمكن أن تترتب عن تلك الإساءات

ردود فعل مغايرة، تعزز الإسلام أكثر مما ترفضه، تساند المسلمين أكثر مما تناوئهم، ولا أدل على ذلك من كتاب جديد ظهر مؤخرًا في إيطاليا، وهو لكاتبة إيطالية اسمها ريتا دي ميليو، وقد عنونته بـ (الإسلام.. ذلك المجهول في الغرب: الدين الإسلامي في ضوء القرآن والسنة)، ويعد في الحقيقة من أهم المؤلفات التي جاءت لتتصف الإسلام والمسلمين والرسول ﷺ، في هذا الظرف التاريخي العويص والحاسم، وحسبنا هذه الأسئلة العميقة التي تواجه بها الكاتبة أولئك المشككين في هذا الدين العظيم: "والفارق بينه (تقصد الرسول ﷺ) وبين الآخرين من البشر هو أن الله اصطفاه وكلفه بتبليغ رسالته. وجعل منه خاتم الأنبياء! وهناك من لا يزال يرى في القرآن مجموعة من القواعد الدينية من أصول مسيحية ويهودية، تعلمها محمد من خلال اتصالاته مع شخصيات كبيرة تنتمي إلى هذين الدينين، قابلهم في مكة وفي المدينة. ومنها لفق محمد قرآنه. أي أن هؤلاء يرمون محمدًا بالانتحال. وفي هذا المجال فإنني أطرح الأسئلة التالية: لماذا كان عليه أن يخترع كذبة ضخمة مهولة مثل تلك؟ لجنون العظمة، حبًّا بالسلطة؟ في مكة، حيث لم يحقق الكثير من النجاح وواجه العديد من الآلام، لم يكن ليلتزم بهذا الصراع الذي كان يبدو بلا مخرج، إلا إذا كان مقتنعا بصحة رسالته. كيف استطاع أن يفحم بآيات القرآن اللاذعة الكاذبين والمنافقين إذا كان هو نفسه كاذبًا؟ وإذا كان هو الذي ابتدع هذا الإسلام من بنات أفكاره فلماذا لم يجعله بسيطًا سهلا مقبولا من غالبية قومه؟ هؤلاء القوم الذين كانوا مشركين وثنيين وأتى لهم بدين توحيدي؟ بالإضافة إلى الديانة التوحيدية لماذا فرض عليهم صيام رمضان وهو أمر شاق جدًّا في شبه الجزيرة العربية

حارقة الحرارة؟ وكيف أمكن أن يصبح من أصدقائه أشخاص من نبلاء الروح ومن الموهوبين بالذكاء الراقي إذا لم يكونوا يعتبرونه من الصادقين؟ وكيف استطاع وهو الأمي أن ينتج عملا على قدر كبير من القيمة أدبيًا ولغويًا؟".

(ينظر هذا المقال: كاتبة إيطالية: شرف لي أن أتحدث عن الإسلام ولا أبغي من ذلك جزاء ولا شكورًا ، د. حسين محمود ، جريدة الشرق الأوسط، الرابط:

http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=17&article=454368&issue=10642) .

علينا إيصال خطابنا العقلاني إلى الغرب(*)

تقديم عام

عقدت جمعية "إحسان" الإسلامية للتنشيط الاجتماعي بمدينة (خرونينكن) الكائنة بشمال هولندا مؤتمرها الثاني تحت عنوان (تحدي التعدد الثقافي؛ الحوار بين الإسلام وبين العقائد والثقافات الأخرى) وذلك يوم ٥ مارس ٢٠٠٣ م. تضمن هذا المؤتمر أنشطة متعددة من بينها: إلقاء محاضرات متنوعة من طرف مفكرين معروفين على الصعيدين المحلي والعالمي انصبت مضامينها على الموضوع الرئيس المخصص للمؤتمر، فالموسيقى الصوفية ثم تنظيم نقاشات مختلفة المواضيع والتيمات داخل قاعات متعددة أديرت من طرف أساتذة متخصصين من مختلف المشارب والتوجهات الدينية واللادينية، حضرها جمهور من النخبة المثقفة؛ مهتمين ومتتبعين.

أثناء هذا المؤتمر ألقى المفكر الإسلامي المعاصر د. حسن حنفي محاضرة حول موضوع الإسلام والعلمانية، لقيت استحسانًا منقطع النظير من لدن الجميع، نظرًا إلى ما تحتويه من أفكار تقدمية جادة من شأنها أن تفعل الفكر العربي الإسلامي ليصبح أكثر انفتاحًا وتجددًا ومسايرة لتحولات العصر ومستجداته.

(*) حوار أجراه الكاتب التجاني بولعوالي مع المفكر المصري د. حسن حنفي، وقد نشر في ملحق الألف ياء بجريدة الزمان، السنة السادسة، العدد ١٤٧٤، الأربعاء ٧ صفر ٩/١٤٢٤ أبريل ٢٠٠٣.

وباعتباري واحدًا من المشاركين في تنظيم هذا المؤتمر. ارتأيت أن أغتنم هذه الفرصة غير المتكررة لأجري حوارًا مع مفكرنا د. حسن حنفي. فعرضت عليه الفكرة توًّا لما التقيته لدى مدخل البناء الذي يقام فيه المؤتمر، وأنا أشرف مع بعض رفاقي في التنظيم على استقبال الضيوف، فرحب بها على الفور من غير تردد رغم أنه كان منهكًا من جراء السفر. فاتفقنا على إجراء الحوار أثناء استراحة الغداء.

مسيرة فكر وترحال...

يعتبر حسن حنفي من صفوة المفكرين الإسلاميين المعاصرين الذين انشغلوا بقضايا الفكر والواقع العربيين الإسلاميين. من أرومة مصرية تنساب بأطياف عبقريتها عبر أرجاء كل البقاع الإسلامية وغير الإسلامية لتبث الوعي في الأذهان المبنجة، وتصدع بالحقيقة الموءودة أمام الجبابرة المستكبرين بلا اكتراث، وتهمس في آذان اليتامى والأرامل وكل المستضعفين بالتفاؤل والأمل القادمين لا محالة. راهنًا، يحيا بين السفر الدائم لإيصال بنات أفكاره وبين التدريس بجامعة القاهرة، مثل تلك النحلة المرتحلة بين الحقول والبساتين لتلقح مختلف الأزاهير والأعشاب. فهو بفكره يلقح عقول الناشئة وألباب الحيارى. وصل إلى المؤتمر مباشرة من مصر مساء اليوم السابق. وعليه التوجه بعد اختتام المؤتمر توًّا نحو مصر ومن ثم إلى الخرطوم. إنها لعمري حياة ثرية بالعطاء والحركة. اعتقدت أن حضوره بهولندا جاء متأخرًا لكن فاجأني عندما قال لي إنه كان حاضرًا من خلال أطروحة "فان دن بوم" وذلك عام ١٩٨٢. قبل عقدين من ذلك التاريخ (١٩٦٢) ناقش أطروحته بجامعة السوربون (باريس). هذا إن عبر عن شيء إنما يعبر

عن أن حياته بلا شك حياة عطاء وحركة. عندما كنت أحادثه، كنت أطالع ملامح وجهه التي يعلوها التأمل والترحال المستديم. وفي خلدي يدور ذلك الكلام الذي تفوه به عالم المستقبليات المغربي د. المهدي المنجرة، مجيبًا أحد محاوريه الذي سأله: متى يستقر المهدي؟ فرد عليه: إن الماء إذا استقر أصبح راكضًا!

هكذا، إذن، أردت لأول لقائي (الذي أتمنى أن لا يكون أخيرًا) بالأستاذ حسن حنفي، أن يكون لقاء معرفة وتحاور تنتفي فيه الحواجز العمرية والفكرية، فكانت ثمرته هذا الحوار البهي.

نص الحوار

س: الأستاذ الدكتور حسن حنفي، بداية أريد أن يكون سؤالي مرتبطًا بحضوركم هنا بهولندا بالمقارنة مع الدول الغربية الأخرى؛ هل هو حضور متأخر أم غير ذلك؟

ج: في الحقيقة أنا أحضر إلى هولندا باستمرار، والإسلام هنا نشيط، والمسلمون كذلك سواء من أصول مغاربية أم تركية نشطاء، بالضبط مثلما في فرنسا، ألمانيا والبلاد الاسكندنافية الشمالية. والمسلمون في هولندا يتمتعون نسبيًّا بالحريات العامة. فعندما تقام ندوة أو مؤتمر تؤيده المدينة أو البلدية... ومن يدري فلربما يعاد نشر الإسلام من أوروبا. فالإسلام هو الدين الثاني في هولندا وفرنسا وألمانيا والبلاد الشمالية.

س: لقد حاولتم خلال محاضرتكم اليوم التقريب بين الإسلام والعلمانية، ولكن كيف ترون هل هذه الفكرة مقبولة لدى الأوساط العربية والإسلامية سواء الفكرية أم السياسية؟

ج: مقبولة لدى الأوساط الليبرالية، العقلانية والتقدمية. فأنا لا

أقرب بين الإسلام والعلمانية، ولكن أنا أحاول أن أبين كيف أن الإسلام من داخله دين بلغة العصر علماني ليس برجال الدين؛ يعتمد العقل، يعتمد العلم ويعتمد حقوق الإنسان والمجتمع المدني والحرية إلى آخر ما قلت.

وبالتالي هذه أشياء موجودة داخل الشريعة الإسلامية وداخل الفكر الإسلامي وداخل التراث الإسلامي. لكنها لم تنتشر كثيرًا، نظرًا لسيادة الاتجاهات المحافظة الموجودة منذ الغزالي حتى الآن. وبالتالي أنا لا آخذ العلمانية الغربية، ولكن أنا أبين أن جذور العلم والعقل والمدنية... موجودة. وهذا ما قاله محمد عبده. فالمدنية الغربية نشأت ضد الدين في حين إن المدنية الإسلامية نشأت من داخل الدين.

س: ربما هذه الفكرة/ الطرح التي تبدو لي جادة وجيدة قد يمكن تطبيقها هنا في الغرب. أما في الأوطان العربية أو الإسلامية فما زالت الحواجز كثيرة سواء من جهة السلطة والساسة أم من جهة بعض الاتجاهات الأصولية المحافظة.

ج: هذا صحيح. لذلك علينا أن نقوم بالمعركة في جبهتين؛ الجبهة الداخلية عندنا ضد هؤلاء المحافظين ورجال الدين الذين يبغون الحكم ويبغون السيطرة على رقاب الناس... والجبهة الغربية التي لا تريد أن تعرف من الإسلام إلا العنف والقتل والمحافظة وقطع اليد وقطع الرقاب والصلب... فنحن نحارب في الجبهتين معًا من أجل بيان أن هذا الإسلام هو أيضًا الإسلام الذي كان في الأندلس وغرناطة وقرطبة وأشبيلية وطليطلة... والذي من خلاله كان العصر الذهبي لليهود والمسيحيين، وأنه لا توجد حضارة احترمت الحضارات الأخرى(اليونان والرومان غربًا والهند شرقًا) مثل

الحضارة الإسلامية، مع أن المسلمين كانوا فاتحين ولكنهم احترموا ثقافات الشعوب المفتوحة وعظموها! سقراط أحكم البشر، أرسطو المعلم الأول، أفلاطون صاحب الرأي والنور، جالينوز أفضل المتقدمين والمتأخرين... اعتزازًا بالثقافات الأخرى. لذلك القرآن الكريم حريص على ذلك؛ ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ وليس لتحاربوا!

س: فكرة أخرى؛ لقد تحدثتم عن هذا النوع من الاحترام الذي كنه الإسلام للأقليات التي كانت تعيش في كنف الدولة الإسلامية، وهذا يعني بذاته تقبل الحوار مع الآخر. ربما هذا اليوم الدراسي الذي يدور حول تحدي التعدد الثقافي والحوار الثقافي يحاول أن يعود على بدء فيسترجع تلك الأفكار القديمة التي تنطوي عليها الحضارة الإسلامية. كيف تقيمون هذه المبادرة التي تقوم بها جمعية (إحسان للتنشيط الاجتماعي)؟

ج: بطبيعة الحال الإسلام لا يعترف بمفهوم الأقلية والأغلبية، فهذا مفهوم تسلطي. والمفهوم الذي تقوم عليه الديمقراطية الغربية؛ أنه إذا نجحت الأغلبية لها السيطرة والإرادة على حقوق الأقليات. الإسلام يعترف بما يسمى الاتفاق بين الطوائف والملل والاتجاهات والثقافات في إطار من المساواة في الحقوق والواجبات وعدم العدوان. فاليهود أمة والنصرانية أمة والإسلام أمة. والكل يدخل ويعيش في كنف الدولة الإسلامية، وكل أمة لها أن تحكم بشريعتها كما كان الحال في الأندلس وفي ميثاق المدينة حينما اعترف الرسول في دستور المدينة الأول باليهود والنصارى والصابئة والمجوس والمسلمين. بل إن اليهود كانوا يأتون إلى المحاكم الإسلامية لأنها تقوم على العدل والإنصاف أكثر مما يذهبون إلى

المحاكم اليهودية. فالأمة الإسلامية أمة متعددة الطوائف والثقافات واللغات والألسنة والمناهج... وكل ذلك في إطار الإيمان والعمل الصالح؛ يعني أنك تؤمن بمن تشاء، لكن ما يهم هو العمل الصالح والمصالح العامة التي هي مصدر الشريعة الإسلامية.

س: إذن، هذه المبادرة أو مكتسبات هذا اليوم هي في صالح الإسلام. كما يبدو نرى أن هناك الكثير من المواقف الإيجابية حول الإسلام سواء من قبل المحاضرين أم من طرف المهتمين والمتبعين؟

ج: بطبيعة الحال. لأن للأسف الذي يظهره الإعلام الغربي إما الظواهري أو أسامة بن لادن أو المصري. وكل هؤلاء الذين يعيشون في الغرب باسم الإسلام، ويحاولون تحويل الإسلام إلى سلطة وانقلاب وعنف... ويقال عندما سقطت المركبة الفضائية كولومبيا أن هذا بناء على دعاء المسلمين! إن الغرب يعمل العلم ونحن نستدعي الله على العلماء ونشمت في الضحايا! أقول، إذن، لكن الغرب لا يهتم، فكثير من المفكرين الإصلاحيين الليبراليين موجودون هنا وهناك. والغرب لا يهتم بهم لأنهم يقولون إننا غربيون، إننا ليبراليون، إننا عقلانيون، إننا امتداد للغرب، فكل شيء حسن موجود في الغرب، وكل شيء سيئ موجود عندنا. فهذه أهمية أن يسمع الغرب الخطاب البديل الموجود. لكن الغرب مهتم بما يسمى بالخطاب الأصولي. فثمة خطاب أصولي وثمة خطاب ما بعد أصولي. ماذا يعني أن الغرب يتحدث عما بعد الحداثة. فنحن كذلك عندنا خطاب ما بعد الأصولية. ذلك هو الإسلام الليبرالي الذي يقبل التعددية الحزبية والدخول في الانتخابات، وحسب اللعبة الديمقراطية الحديثة و(لا إكراه في الدين) وهذا جزء من التيار الإسلامي الذي جدده المعتزلة وابن رشد.

س: على ذكر الإعلام الغربي الذي يتخذ على العموم مواقف ظالمة من الإسلام والمسلمين. نشاهد الآن أمريكا وقد بدأت تجند جيوشها لضرب العراق. لقد بدأت بأفغانستان والآن تدور الدائرة على العراق، ربما غدًا سوف تصل إلى دول أخرى. كيف تنظرون الآن إلى الجو العام وإلى الجغرافيا الإسلامية وإلى الموقف الأوروبي والعربي/ الإسلامي وكذلك إلى الشعوب الإسلامية التي تتحدى... دون نسيان موقف الصحوة الإسلامية؛ ذلك الصوت الخافت الذي يدوي من حين إلى آخر؟

ج: نعم، في الحقيقة نحن نحزن ونخجل من أنفسنا. ففي يوم ١٥ فبراير الماضي ١٤ مليون أوروبي يتظاهرون من أجل قضايانا وقضايا فلسطين والعراق. ونحن في البلدان العربية لو خرج ألف في ميدان السيدة زينب التف حولهم ثلاثة آلاف شرطي وعسكري؛ لكل مواطن ثلاث من العساكر! فنحن خجلون... ونحن مقهورون من حكامنا ومقهورون من الغرب...

س: (مقاطعًا) ومقهورون من أنفسنا!

ج: ومن أنفسنا أيضًا. وبالتالي كنا نتساءل: ألا يستطيع مليار و٢٥٠ مليونًا من المسلمين (وحتى في إسرائيل خرجت مظاهرة فيها ٥٠ ألف مشارك!) أن يقوموا ضد الحرب وضد أمريكا وهي أكبر معاون للكيان الصهيوني؟... وبالتالي معركتنا صعبة، علينا أن ندخل في الجبهتين معًا؛ الجبهة الداخلية والجبهة الخارجية لكن دفاعًا عن الكرامة العربية ودفاعًا عن التاريخ العربي ودفاعًا عن... من منا يقبل أي نظام دكتاتوري، لكن أن نتحرر بأيدينا وليس على ألسنة ورماح الغير وعلى فوهات مدافع الغير وطائرات الغير. وإلا فستدور الدائرة على الكل، وسيدخل الجميع بيت الطاعة.

س: ككلمة أخيرة، الأستاذ حسن حنفي، موجهة إلى المسلمين بهولندا بخصوص التعايش بينهم وبين إخوانهم من الديانات الأخرى.

ج: ألا ينعزلوا على أنفسهم، ويكونوا (جيتو) إسلاميًا، ويشعروا الهولنديين بأنهم غرباء، وألا يندمجوا فيهم ويقلدوهم ويمارسوا ما يفعلون من المخدرات والشذوذ الجنسي... هذان الخطران: إما الانعزال أو التقليد وإما السلوك الإسلامي الحسن وحسن المعاشرة وحب الجار والدقة في العمل واللباس النظيف والاعتزاز بالعلم والثقافة والحوار مع الآخر. السلوك الإسلامي في هولندا أكبر قادر على تحويل المجتمع الهولندي الذي تسيطر عليه الصهيونية بأجهزة الإعلام إلى ثقافة تحترم الإسلام وتعترف بقيمة المسلم، كما كان المسلم أيام زمان يذهب إلى إندونيسيا وماليزيا، يصلي ويصوم ويعطف على الجار ويساعد الضعيف ويرعى المصالح. فيأتي السلطان ويدخل في الإسلام ويتزوج أولاد السلطان وتدخل القبائل كلها في الإسلام عن طريق المصاهرة والسلوك. فأرجو أن يكون الإخوة المسلمون في هولندا في طليعة هؤلاء، وأنا متفائل جدًا، لهم نشاط وثقافة ومعرفة ودراية... ولهم كذلك أن يرتبطوا بالوطن الأم، وأن يكونوا كذلك قادرين على التعبير على صوت الإسلام.

المسلمون في أوروبا..
بين الغرب الأيديولوجي والغرب الإنساني(*)

الكاتب المغربي المقيم في هولندا التجاني بولعوالي يرى أنّ اندماج المسلمين العقلاني في الغرب هو المنهج الصحيح الذي يمكن بعده أن "تصمت أو تبح الأصوات المعادية لوجود المسلمين في الغرب إلى الأبد" كما يقول، وفي الوقت الذي يؤكد ضرورة التفريق بين الغرب الأيديولوجي والغرب الإنساني؛ فإن بولعوالي يرى بأن هناك محاولة لتقديم صورة نمطية غير صحيحة حول الإسلام والمسلمين في أوروبا. وإذ يتحفظ بولعوالي على التقدمة المبالغ فيها لصورة المفكر طارق رمضان في المشهد الإسلامي الأوروبي؛ لأنه يُقدّم نظرة براغماتية وسلبية حول بعض القضايا الإسلامية هناك. في هذا الحوار مع بولعوالي الذي أصدر كتابًا حول المسلمين في الغرب؛ نحاول تقديم جانب من أوضاع المسلمين في أوروبا، وطبيعة التحديات الحالية والمستقبلية التي تواجه الوجود الإسلامي هناك.

❖ في البداية، ومن منطلق اهتمامكم البحثي بمسألة المسلمين والغرب؛ في أي سياق تاريخي وحضاري، يمكن موْضعة

(*) حوار خاص بجريدة الوقت البحرينية، عدد ٤٨٧، الجمعة ٧ جمادى الثانية ٢/١٤٢٨ يونيو ٢٠٠٧، وقد أجرى هذا الحوار مع الكاتب المغربي التجاني بولعوالي الصحافي نادر المتروك.

الوجود الإسلامي الحالي في أوروبا، خصوصًا مع ملاحظة بُعدي العلاقة الأكثر من دموية بين الإسلام والغرب (المسيحي)؟

في حقيقة الأمر، ينبغي أن نتجاوز ذلك التفسير الدّيني الحرفي المعهود لوجود المسلمين في الغرب، وهو تفسير ينظر إلى الأشياء بأسلوب إسقاطي لا يأخذ بعين الاعتبار المعطيات الجديدة، التي يفرزها واقع المسلمين المعاصر، وهي معطيات ذات طبيعة تتراوح بين الثبوت والإشكال؛ ثابتة من حيث انبثاقها من التربة التي توجد فيها وتجذّرها فيها، مما يستحيل تبديلها بشكل سريع ويسير، ومشكلة من حيث إن أي إقدام على حلها يزيد من استعصائها! فيما يتعلق بوجود المسلمين في الغرب، فإنه لم يصبح طارئًا أو مؤقتًا، بقدر ما أنه صار ثابتًا ودائمًا، وحتى التخطيط الذي صمّم لوجود الأجانب في الغرب وجودًا مرحليًّا، ينتهي بانقضاء مهمة اليد العاملة الأجنبية؛ مُني بفشل ذريع، سواء لدى مختلف السّياسات الغربية التي ظلت تخطط طوال أكثر من ثلاثة عقود لعودة اليد العاملة المسلمة والأجنبية إلى أوطانها الأصلية، أو لدى تلك اليد العاملة نفسها التي نزحت نحو الغرب لجمع بعض المال، ثم الرجوع إلى بلدانها قصد استثمارها هنالك في بعض المشاريع الصغيرة التي تساعدها على العيش في كرامة وأمان.

◆ **لابد من تشديد هذه العبارة.. إنك تقول إنّ وجود المسلمين في الغرب أصبح ثابتًا.**

نعم.. لاسيما بعدما صار الحديث عن جيل بأكمله؛ مسلم العقيدة رغم أنه غربيّ الولادة والمنبت والانتماء واللغة.. وهو لا يربطه بالعالم الإسلامي إلا شيء واحد، وهو أنه وطن آبائهم الذي ينحدرون منه، مما سوف يطرح معادلاتٍ جديدة، تقتضي تفسيرًا

فقهيًا وسياسيًا وثقافيًا أكثر واقعية واستجابة لمتطلبات الحياة، وإلا فماذا سيكون مصير عشرات الملايين من المسلمين المستقرّين في الغرب، خصوصًا وأنّ الفقه المتشدّد يتمسك بأنّ ذلك الوجود خارج أسوار الوطن الإسلامي غير جائز!

الغربُ غربان.. أيديولوجي وإنساني

◆ وكيف تعالجون هذه المسألة؟

في اعتقادي، ينبغي الحديث عن أنّ وجود المسلمين في الغرب هو مكسبٌ عظيم للإسلام، وإغناءٌ لا مثيل له للثقافة الإسلامية المعاصرة، لاسيما وأن ثمة - حاليًا - استجابة منقطعة النظير من لدن الغربيين للدّين الإسلامي، اطلاعًا واعتناقًا، ثم إنّ المسلمين في الغرب تمكّنوا، خلال العقد الأخير، من أن يشكّلوا حضورًا لافتًا داخل المجتمعات الغربية، اعترى مختلف الميادين، من ثقافيةٍ وسياسيةٍ واقتصاديةٍ وتعليميةٍ وغير ذلك، حتى صارت كثيرٌ من الأحياء في شتى المدن والعواصم الأوروبية توحي لك وكأنك في دولةٍ إسلامية، وهي أحياء تتوفر فيها كلّ المؤشرات على أنّ الإسلام حاضرٌ فيها بقوّة وكثافة، من مساجد ومدارس إسلامية وأسواق شعبية وقاعات الأفراح وجمعيات ثقافية وغير ذلك.

◆ أفهم من ذلك أنه لم يعد ينفع إثارة السؤال التقليدي بشأن العلاقة المهجوسة بين المسلمين والغرب.

نعم، بعد هذا.. يمكن أن نخلص إلى أن العلاقة المهجوسة (التي أشرتم إليها في سؤالكم) بين المسلمين والغرب، لا وجود لها بذلك الشكل المضخّم، إلا على مستوى النقاش الأيديولوجي والتناول الإعلامي، فهي صناعة إعلامية مدعومة بما هو أيديولوجي معاد

للإسلام، أو العكس، صناعة أيديولوجية مدعومة بما هو إعلامي معاد للإسلام، وحتى تتضح الصّورة أكثر، فيلزمنا أن نفرّق بين نوعين من الغرب؛ أولهما ما نطلق عليه الغرب الأيديولوجي، الذي يوحي بمفاهيم الاستعمار والهيمنة والاستعلاء والقوة وغير ذلك، وعلى هذا الصعيد يمكن الحديث عن العلاقة (الأكثر من دموية)، وهي محكومة بالمناخ الدّولي العام، وهذا لا ينفي وجود غرب آخر، يمكن نعته بالغرب الحضاري والإنساني، الذي يقدّم للإنسان شتى القيم الإيجابية والإنجازات المفيدة ونحو ذلك، وهو ذلك الغرب الذي هيّأ ملاذًا دافئًا لملايين المسلمين والأجانب، في الوقت الذي أقفلت الدول الإسلامية الغنية أبوابها في وجوههم!

❖ تتعدّد الطروحات بشأن المنهج المناسب بخصوص المسلم في بلاد الغرب، فهناك مَنْ يطرح الاندماج، فيما يذهب آخرون إلى اعتماد منهج الاستفادة البراجماتية. كيف تعلقون على مثل هذه المناهج الحياتية؟

عندما ننعِم النظر في طبيعة تفكير مسلمي الغرب عامة، وأوروبا خاصة، وكيفية انتظامهم في المجتمعات الغربية، .ندرك أن هؤلاء ينقسمون إلى نموذجين؛ يتراوحان بين الانحلال التام في بوتقة الثقافة الغربية، أو الانغلاق على الذات والتقوقع باسم الدين والمحافظة والخوف من الذوبان، وما إلى ذلك من التبريرات اللاعقلانية. فلا أولئك ولا هؤلاء يخدمون الإسلام عقيدةً وثقافة، بقدر ما يحكمون عليه باللا جدوى أو التشدّد، بالرجعية أو التطرف! إنّ الإسلام في الغرب في مسيس الحاجة إلى نموذج ثالث من المسلمين الذين يشكّلون حاجزًا وسطًا متينًا، بين مَنْ يدعو إلى الانحلال والتفسّخ، زاعمًا أنّ ضعفنا أو تأخّرنا ناجمٌ عن تديّننا

وتعلّقنا بالإسلام، وبين من يرى في عزوفنا عن الانخراط في المجتمع الغربي، دراسة أو عملاً أو معاملة، خيرُ وسيلةٍ لحماية هويتنا من براثن الثقافة الغربية المنحرفة والعابثة! كلا النموذجين يقدّمان صورة مشوّهة للإسلام، وقلّما نجد مسلمين يتموقعون وسط هذا المعيار، فينسجون نظرة إسلامية معتدلة غير منساقة، لا إلى أولاء، ولا إلى هؤلاء.

المنهج العقلاني في الاندماج الغربي

❖ وما هو في رأيكم المسلك الملائم لترتيب وجود المسلم في الغرب، بحيث يحافظ فيه على ثقافته الإسلامية، وفي نفس الوقت يراعي طبيعة المحيط الجديد الذي يعيش فيه؟

إنّ النموذج الثالث الذي يتسم تفكيره بالوسطية، وسلوكه بالاعتدال؛ يعتبر خير ما يُراهِن عليه مسلمو الغرب لتحقيق حيّز جديد بهم ضمن المجتمعات الغربية التي يستقرّون فيها، وهو نموذج راحت تتشكّل بعض ملامحه بصيغةٍ فردية أو جماعية، حيث بدأت تتعالى أصواتٌ، وتنشأ أفكارٌ تنادي بتحسين صورة الإسلام في الغرب، والكشف عن حقيقته المغيّبة أو المشوّهة، وهذه الأصوات والأفكار تشقّ لها منهجًا حياتيًّا وسطيًّا، يتجاوز النظرة النفعيّة التي ظلت سائدة لدى أجيال الهجرة الأولى، ويرفض الذوبان أو الاندماج النهائي في ثقافة الغرب.

❖ وما هي أبرز ملامح هذا المنهج الحياتي الذي تتحدّث عنه؟

يتحدّد ذلك المنهج الحياتي في الاندماج الإيجابي أو العقلاني في المجتمع الغربي، وهو اندماجٌ على مستوى ما تقرّه الأدبيات السّياسية والقانونية الغربية؛ من إتقان للغة الدولة التي يستقرّ فيها

الأجنبي أو المسلم، وتعرّف على ثقافتها وعاداتها وتقاليدها، واحترام ما ينصّ عليه دستورها من قوانين منظّمة للحقوق والواجبات. في مقابل ذلك يتحتّم عليه التشبث بهويته الدينية والثقافية، التي لا تلغي الآخر، بقدر ما تدعو إلى المعاملة الإيجابية معه. ثم إنّ ترتيب وجود المسلمين في الغرب بشكل دائم وصحي، غير مرهون فقط بالقوانين الغربية المنظمة لهجرة الأجانب أو استقرارهم في العالم الغربي، بقدر ما هو مرهون بمدى نجاعة هذا الوجود بين ظهراني الغرب، حيث الكيفية التي يحضر بها المسلمون في المهاجر، هي التي تحدّد مكانتهم وقيمتهم في عيون الأوروبيين والغربيين، لذلك فهم مطالبون بتحسين حضورهم بالسلوك الحسن، والمشاركة الاجتماعية والاقتصادية الفعّالة، والإسهام السّياسي المستمر، والإنتاج الثقافي الهادف، والتوجيه التربوي الصارم.

الأفكار التجديدية في الوسط الأوروبي

◆ في سياق التحوّلات التي شهدها الوجود الإسلامي في الغرب؛ برزت مجموعة من الأصوات "الإسلامية" التي حاولت إعادة التفكير في المخزون الثقافي الإسلامي بما يتلاءم مع الحاضنة الكيانية لأوروبا، والملاحظ أن بعضًا من هذه الأصوات يتميّز بقوةٍ فكريّة وامتدادٍ تأصيل واضح. على المستوى الأوروبي، يبدو طارق رمضان بوصفه مثالاً إشكاليًا على ذلك.

مما لا ريب فيه، أنّ صوت المنظر الإسلامي الشاب طارق رمضان له صداه الكبير في الغرب، غير أنّ ثمة الكثير من العوامل السّياسية والإعلامية التي ساهمت في إبراز هذا الصّدى

وتضخيمه، وهذا لا يعني بالمطلق التنقيص من قيمة هذا الرجل الفكرية، بقدر ما يعني أن هناك مئات الأسماء التي لم تحظ بمثل هذا الظهور الإعلامي، فهي تشتغل في صمت، مكرّسة جهودها لخدمة الإسلام، فكرًا وتنظيمًا ودعوة، ويعود إليها الفضل الكبير في أهم المكاسب المادية والمعنوية التي حققها الإسلامُ في الغرب، حيث تنشط عشرات الآلاف من المساجد والجمعيات الإسلامية، وتصاغ في تعاون مع الجهات الغربية شتى القوانين والمشاريع والأفكار، التي تهم حياة المسلمين في الغرب.

◆ وكيف تقاربون مجموع الأفكار "التجديدية" التي تطرحها النخبة المسلمة في أوروبا بغرض إحداث معايشة هادئة، وسليمة مع الوسط الأوروبي؟

فيما يخصّ التنظير التجديدي للإسلام الذي يمارسه الكثير من المثقفين والباحثين المسلمين في الغرب، إما قصد تثوير ثوابت الدين الإسلامي، ادعاءً بأنها لم تعد تلائم طبيعة الحياة المعاصرة، أو أنها تقف عائقًا في وجه تقدّم المسلمين وتغيّرهم إلى الأحسن، وإما تصحيحًا لبعض الأفكار المستقاة مما يصطلح عليه بالإسلام الشعبي، رغبةً في زرع ثقافة التعايش مع غير المسلمين، وإما غير ذلك.. فإننا نرى أن قسمًا من ذلك التنظير لا يُغني ولا يُسمن من جوع، فهو لا يعدو أن يكون إلا رتوشات شكلية لا تزين اللوحة الأصلية، بقدر ما تشوّهها وتحدّ من جمالها التلقائي الأول، لأن الانخراط السّلمي والفعال للمسلمين في الواقع الغربي، لا يتحقق إلا بالاندماج الإيجابي الذي تمت الإشارة إليه سابقًا، وهو اندماج مبني على احترام الآخر، آخذًا بعين الاعتبار حقوقه. لذلك فإنّ كل منْ يعتقد أن التعايش الحقيقي مع الغرب يبدأ من نزع الحجاب أو

اللحية أو ترك الصلاة أو شرب الخمر أو غير ذلك، فإنّ مثله مثل الذي يحرث الصحراء، فلا يحصد منها في النهاية شيئًا، لأن تجانس المسلمين مع واقعهم الجديد الذي هو الغرب، لن يتأتى إلا عن طريق التربية القويمة، التي تصحّح جملة من الأفكار الخاطئة التي جبلوا عليها، وتزوّدهم بمنهجٍ حياة مستمد من منابع الإسلام الحقيقية، حيث الدين المعاملة أولاً وأخيرًا.

التعليم الإسلامي في الغرب

❖ برز في الفترة الأخيرة الحديثُ حول محاولات وتجارب جادة للتعليم الإسلامي في أوروبا، وتمّ افتتاح معاهد وكليات أكاديمية بهذا الخصوص. ما هي خلفيات مثل هذه التجارب؟ وهل تجدونها ناجحة من حيث أداء وظيفتها الجديدة؟ وعلى أي نحو تتلقاها الذهنية الغربية؟

ينبغي بدءًا التمييز بين أنواع ثلاثة من التعليم الإسلامي في الغرب، أولها يتعلق بذلك التعليم الأسود، أي غير القانوني، الذي يُعطى لأبناء الجالية في مختلف المساجد والجمعيات الإسلامية، أثناء عطلة نهاية الأسبوع (السبت والأحد)، وهو يستقطب أعدادًا كبيرة من التلاميذ، ويرمي إلى الحفاظ على جانبٍ من الهوية الإسلامية للمسلمين المقيمين في الغرب، عن طريق تعليم اللغة العربية، وتحفيظ القرآن الكريم، وتلقين تعاليم الدين الإسلامي. أما النوع الثاني فهو ذلك التعليم المُدعم من قِبل بعض الدول الأوروبية، كما هو الحال بالنسبة إلى هولندا، حيث يمكن الحديث عن تعليم إسلامي قانوني، يخضع خضوعًا كليًّا لمقتضيات كلٍّ من التعليم والتشريع الهولنديين، لكنه من جهةٍ

أخرى يحظى بإمكانية عكس الهوية الدينية أو الثقافية الإسلامية، عن طريق إما تخصيص بعض المواد التعليمية التي تقترن، بصيغةٍ أو بأخرى، بهوية المدرسة وتلاميذها، كالتربية الإسلامية واللغة العربية أو التركية، أو تكريس بعض السلوكيات والمعاملات الإسلامية، مثل أداء الصلاة في وقتها، ومعاملة الإناث في إطار شرعي وغير ذلك، أو تنظيم بعض النشاطات ذات الطبيعة الرمزية، كالاحتفال بالأعياد الإسلامية، وتزيين الأقسام والقاعات بديكور إسلامي، وإعداد أنشطة ثقافية حول الإسلام ودوره الاجتماعي والتربوي في تهيئة الأجيال وغير ذلك. ويتشكّل هذا التعليم من ٣٥ مدرسة ابتدائية وثانويتين. والنوع الثالث هو ذلك التعليم الإسلامي الجامعي العالي الذي يُدرّس في مجموعةٍ من الجامعات والكليات والمعاهد الإسلامية التي تمّ تأسيسها في مختلف الدول الغربية، بمبادرةٍ من مثقفي الجاليات الإسلامية هنالك، وقد بدأ هذا التعليم في الآونة الأخيرة بالاتساع، سواء على صعيد كمية المؤسسات التي تمّ فتحها أو على مستوى استقطاب الطلبة والمهتمين، حيث نشأ قسم لا يستهان به من المثقفين المسلمين في الغرب يعي أهمية هذا التعليم الإسلامي العالي، فراحوا ينتظمون فيه، دراسة أو إشرافًا. غير أن ما تجدر الإشارة إليه هو أنه رغم أن هذا التعليم حقق طفرة نوعية، فتمكن من اجتذاب ثلة من المثقفين والأكاديميين الغربيين، فإنه لا يزال يعاني من تجاهل بعض السلطات الغربية له، حيث يظلّ محرومًا من الاعتراف القانوني.

◆ **بحكم الطبيعة الاختلافية بين المسلمين في بلاد الإسلام، وأولئك الذين يعيشون في الغرب؛ يطرح البعض مشكلة بخصوص إمكانات التأثير السلبي، وربما الإيجابي، المتبادل بين الطرفين. كيف تنظرون إلى أبعاد العلاقة الممكنة، والمحتملة، بين الطرفين، لاسيما مع وجود اختلافات بنيوية بين المكان "المسلم" والمكان الغربي الأوروبي؟**

إن مسألة الاختلاف بين المسلمين في بلاد الإسلام وإخوانهم المستقرين في الغرب، تقتضي في حقيقة الأمر، دراسة سوسيو - ثقافية، تأخذ بعين الاعتبار مجموعة من المعطيات التاريخية والسياسية والاقتصادية والتكوينية، وقد لاحظ ذلك مجموعة من الغربيين الذين سافروا إلى العالم الإسلامي، حيث يصرّح البعضُ بأنّ المسلمين الموجودين في بلاد الإسلام يختلفون كثيرًا عن أترابهم في المهاجر، خصوصًا على مستوى السلوك والمعاملة، حيث يتميّزون بالأريحية والانفتاح وحسن الخلق والصدق وغير ذلك، في حين يتسم أولئك الموجودون في الغرب بالصرامة المفرطة والانغلاق والتفسّخ والمراوغة والكذب وغير ذلك. وقد تصدق هذه الملاحظة على مسلمي الغرب، لكن بشكل نسبي، لأن الصورة التي صُمّمت للإسلام في الغرب، هي صورة مقزّمة، نُسجت بفرشاة الأيديولوجيا ومقصّ الإعلام، فما يُشاع حول تعفّن المسلمين وفسادهم، لعله ينطبق على مجموعةٍ صغيرة من الشباب الطائش، وليس على الجميع، ثم لا ينبغي تجاهل البنية القانونية الصارمة للمجتمعات الغربية، التي تحاصر المواطن العادي من كلّ جهة،

فيشعر كأنه مأسور، فلا يملك إلا أن يداهن ويراوغ ويتملّص من ضغط القوانين، ومع مرّ الأيام يصبح لديه الخروج على القانون، من أجل تحقيق بعض مقتضيات الحياة الضرورية أو الكمالية أمرًا عاديًّا، ولو كان ذلك محظورًا قانونيًّا.

◆ وماذا عن العلاقة بين الطرفين.. كيف ترى مستقبلها؟

هذا الاختلاف النسبي الناشئ بين المسلمين المقيمين في الغرب وإخوانهم في البلدان الإسلامية؛ ليس له أيّ دخلٍ في طبيعة العلاقة القائمة بين الطرفين، فهي علاقة مبنية على التواصل والتعاون الدائمين، رمزيًّا وماديًّا، حيث يساهم أغلبُ المسلمين المستقرّين في الغرب بحمل عبء عائلاتهم المعوزة، بل وإنّ معظمهم هاجرَ وهو مسكونٌ بهاجس إنقاذ عائلته من الحاجة. غير أنه من المتوقع أن تتعرّض هذه العلاقة لنوع من الارتجاج في المستقبل القريب المقدر بأربعة أو خمسة عقود، حيث سوف تنتهي الأجيال الأولى التي تربطها أواصر وطيدة بالأوطان الأصلية، فيصبح المسلمون في الغرب ممثلين بالأجيال الأخيرة، التي ولدت وتربّت في الغرب، ولا تقرنها بأوطان آبائها إلا علاقات تذكاريّة ورمزية.

الفهرس

الكاتب

التجانى بولعوالي

❖ ولد في أول يناير ١٩٧٣ بقرية الدريوش/ إقليم الناظور بشمال المغرب.

- درس اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة محمد الأول بوجدة.
- تلقى تكوينا خاصا بأساتذة الدين الإسلامي بكلية التربية بأمستردام.
- نال شهادة الماجيستر من الجامعة الحرة بهولندا حول موضوع: (الشعر العربي بين سلطة المعيار ولذة الانزياح).
- نال شهادة الدكتوراه من جامعة لاهاي العالمية للصحافة والإعلام، حول موضوع: (تاريخ الصحافة الأمازيغية المكتوبة).
- يهتم بمختلف قضايا المسلمين بالغرب.
- يهتم بالقضية الأمازيغية.

❖ صدر له:

- (المسلمون في الغرب بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل)، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦.
- (الإسلام والأمازيغية؛ نحو فهم وسطي للقضية الأمازيغية)، دار النشر أفريقيا الشرق، أبريل ٢٠٠٨.

- (الإسلام فوبي صناعة صهيونية تسوق فى الغرب)، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٨.
- (الموت على طريقة الكويوي)، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٨.

❖ يبدع في مجال الشعر العربي والأمازيغي، وله مجموعات شعرية مخطوطة (وهي قيد الطبع والنشر) منها:

- إرهاصات
- في مهب اليتم
- الطين يعشب حزنا في وطني
- أسنان (الشوك)/ شعر أمازيغي

❖ يبدع في مجال السرد، وله مجموعات مخطوطة بعنوان:

- من السماء إلى الأرض
- البرتقال الصامت
- الطريق إلى أمستردام

❖ يكتب في مجال النقد الأدبي وقد تناول بعض القضايا الأدبية والشعرية بالدرس والتفسير، وهي إما منشورة في شكل مقالات متفرقة، أو ماتزال على شكل مسودات.

❖ يشارك في إعداد بعض المناهج والكتب الدراسية الخاصة بالصحافة والإعلام الأمازيغي، في جامعة لاهاي العالمية للصحافة والإعلام، ومنها:

- الصحافة الأمازيغية المكتوبة، صدر عن الجامعة ٢٠٠٧.
- فن الإعلان الأمازيغي، صدر عن الجامعة ٢٠٠٧.

❖ عضو مؤسس لبعض الجمعيات الثقافية المغربية.

- ❖ عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- ❖ عضو منظمة كتاب بلا حدود.
- ❖ عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب.
- ❖ عضو المنتدى السردي بتطوان - المغرب.
- ❖ مدير مكتب الجامعة الحرة بمدينة أمستردام.
- ❖ رئيس تحرير مجلة الفوانيس الرقمية الصادرة من هولندا.
- ❖ يساهم بالكتابة في شتى المنابر الأدبية والفكرية الورقية والرقمية، وله صفحات بمختلف المواقع الرقمية على شبكة الإنترنت.
- ❖ مراسل صحافي لبعض الجرائد والمواقع العربية، كجريدة الصحيفة المغربية التي ساهم فيها بزاوية أسبوعية عنوانها (رسالة هولندا)
- ❖ حاز الجائزة الأولى الخاصة بالشعر العربي، التي نظمتها جمعية الهجرة للثقافة والفن بأمستردام، وذلك بتاريخ ١٧ أبريل ٢٠٠٥، عن قصيدة ذاكرة العشق الموءود، المترجمة إلى اللغة الهولندية، والمنشورة في كتاب خاص بهذه الجائزة.
- ❖ والآن يشغل منصب نائب رئيس جامعة لاهاي العالمية للصحافة والإعلام، ويشرف على كلية الصحافة والإعلام الأمازيغي.
- ❖ يمكن التواصل مع الكاتب عبر الموقع الرقمي:

www.tijaniboulaouali.nl

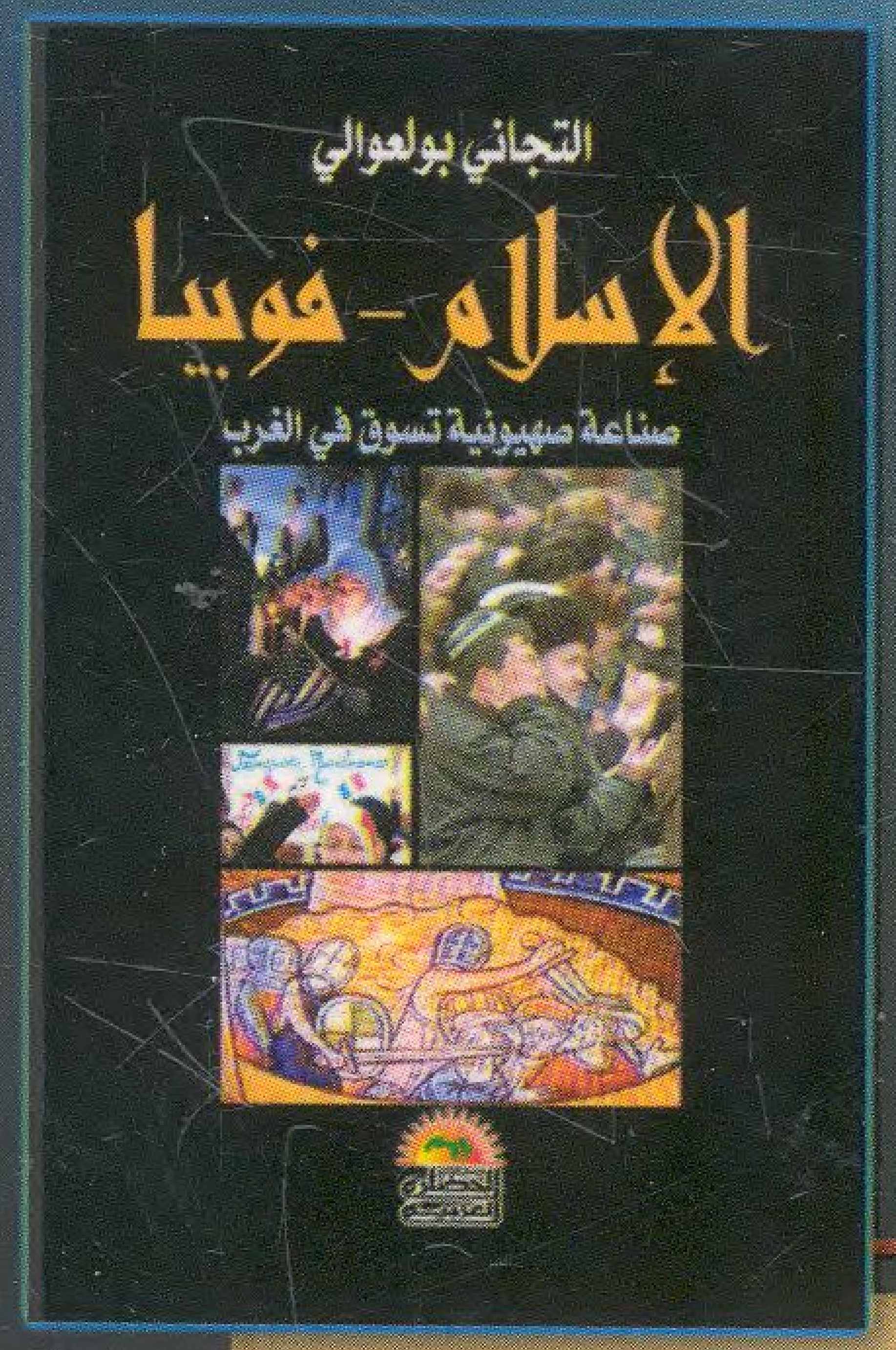
من قائمة الإصدارات

رحلة الكلمات	د. علي فهمي خشيم
البرهان على عروبة اللغة المصرية القديمة	د.علي فهمي خشيم
أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث	صلاح زكي
رسالة إلى العقل العربى	د. عبد الحكيم بدران
خيانة المثقفين	د. عبد الحكيم بدران
المرأة والسلطة	د. عفاف عبد المعطي
صورة العرب والمسلمين في العالم	د. عزة علي عزت
العروبة المفتري عليها	د. محمد عبد الشفيع عيسى
مسارات المستقبل العربي والمصري	د. محمد عبد الشفيع عيسى
اغتصاب الذاكرة	إيهاب الحضري
الصراع علي الخليج وتوظيف الإسلام السياسى	محمد سعيد ريان
التفكير الأسطوري في الإسرائيليات	عبد الله سالم مليطان
الشخصية المصرية في الأمثال الشعبية(لغة الشارع)	د. عزة عزت
يوتوبيا البحث العلمى: الحرية الأكاديمية	سوسن الشريف
الجريمة السياسية (دراسة مقارنة)	د. أحمد عبد الوهاب
الناصرية هل تجاوزها الزمن؟	محمد يوسف
جمال عبد الناصر.. مشوار زعيم ونضال أمة	صبري غنيم
نظرة الغرب إلى الإسلام	ترجمة: د. علي فهمي خشيم
المسلمون في الغرب	التجاني بولعوالى
الإسلام والغرب الأمريكى	محمد إبراهيم مبروك
الإسلاميون الجدد ..إلى أين؟	أسامة عبد الحق
الإخوان والسلطة (تحالفات واهية وصراعات دامية)	حمادة إمام
النبى الخاتم، هل وجد؟ ومن يكون؟	د. جمال الحسيني أبو فرحة
معاناة نفسية(رحلة داخل سراديب النفس ومعاناتها)	د. محمد حسن غانم

كيف تحافظ على صحتك النفسية؟	د. محمد حسن غانم
هاجس الكتابة	د. أحمد إبراهيم الفقيه
مستحيل الكتابة	د. أحمد الدوسري
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
في نور آخر (دراسات وإيماءات في الفن التشكيلى)	إدوار الخراط
الاستفهام بين النحو والبلاغة	د. الطاهر قطبي
الخطاب والقارئ	د. حامد أبو أحمد
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
البلد البعيد (دراسات في أدب جوته - شيلر....،)	د. عبد الغفار مكاوي
اغتيال المتنبى	فيصل الياسري
اثر الأدب العربي في الأدب الغربى	د. يوسف عز الدين
المشهد القصصى	إدوار الخراط
إنتاج الدلالة الأدبية	د. صلاح فضل
قص، يقص: دراسات في القصة القصيرة والرواية العربية	د. ماهر شفيق فريد
التحليل النفسى للأدب	د. محمد حسن غانم
القصة .. تطورًا وتمردًا	يوسف الشاروني
الأسلوبية والظاهرة الشعرية	د.السيد إبراهيم
الصوت والصدى(قراءة فى المشهد الإبداعى)	السيد رشاد
المسرح والأسطورة (دراسات فى الظاهرة المسرحية)	ادوار الخراط
سينما الحب والغضب	يسري حسين
طقوس الزار	محمد مهدي قناوى

بالإضافة إلى العديد من الكتب الأدبية؛ رواية.. قصة.. دراسات ونقد وكتب متنوعة: سياسية، قومية، دينية، معارف عامة، تراث، أطفال.
خدمات إعلامية وثقافية

الآراء الواردة في الإصدارات لا تعبر بالضرورة عن آراء يتبناها المركز





وسعيا إلى تضخيم ظاهرة الخوف من الإسلام، كثفت العديد من مكونات المجتمعات الغربية جهودها الإعلامية والإحصائية والسياسية، لتثبت مدى التهديد الذي يمارسه هذا الخطر على تماسك المجتمعات الغربية واستقرارها، فظهرت شريحة اجتماعية يطلق عليها (الخائفون من الإسلام)، وراج الحديث عن عداء المسلمين للغرب، حتى أن ثمة من نعت هذه الظاهرة بـ (التسونامي)!.

ودعما لهذه الآراء وضعت مراكز الإحصاء الغربية أرقاما وإحصائيات من شأنها أن تعزز هذا الخوف، وتحض أصحاب القرار على مواجهته، حيث أشار مكتب إحصائي هولندي قبل سنة 2006 ، إلى أن 43 % من العينة التي تم استطلاع رأيها، ترى أن الإسلام لا يحث على السلم، و 63 % تعتقد أن الإسلام يتنافى وطبيعة الحياة الأوروبية الحديثة، وفي مقابل ذلك أوضحت نسبة 73 % من الهولنديين أنها ليست عنصرية، وتشجع على قيام المجتمع المتعدد الثقافات، في حين يـ
80 % من المستفتين إلى أن العلاقة بين مختلف الثقافات
والأكثر من ذلك، قدمت إحدى المراكز الأوروبية
وهي مركز المرصد الأوروبي للعنصرية وعداء الأجا
عددت فيه سمات ظاهرة الإسلام - فوبيا، وبمجرد ما
على فحوى التقرير، يخلص الإنسان إلى أنه غير موضو
ينعت الإسلام بالانغلاق واللا عقلانية والهمجية والتهـ
والعداء وغير ذلك كثير!



